﴿ الجزء الثاني عشر ﴾ ﴿ المجلد الحادي عشر ﴾

المنار

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كنار الطريق

﴿ مصر — الجمعة ٢٩ ذي الحجة ١٣٢٦ — ٢٢ يناير (كانون الثاني) سنة ١٩٠٩ ﴾



خطب ودروس

﴿ صاحب المنار ﴾

في هذه الديار (*

إن لي في هذه الدنيا وطنين : وطن المنشأ والتربية وهو سورية فانني نشأت في قرية القلمون المجاورة لطرابلس الشام في ساحل الكورة من لبنان وتعلمت في طرابلس . ووطن العمل وهو مصر التي أقمت فيها إحدى عشرة سنة أدعو الى الإصلاح الديني والاجتماعي والسياسي واقرأ الدروس واعمل في بعض الجمعيات .

ولما أقر الله عيوننا معشر العثمانيين بالحكومة الدستورية اشتقت الى زيارة وطني الأول لرؤية الاهل والاصدقاء ولاختبار حال البلاد بعد ان اشتدت عليها

*) نشرت في العدد ٥٣ من جريدة الاتحاد العثماني البيروتية الصادر في ٢ ذي القعدة سنة ١٣٢٦

وطأة الاستبداد ومساعدة محيي الاصلاح والترقي في التنبيه لما يجب ان تتوجه اليه الهمم .

زرت بيروت وطرابلس والقلمون ثم عدت الى بيروت ومنها ذهبت إلى دمشق الشام فبعلبك فحمص فطرابلس . وقد ألقيت في أكثر هذه البلاد خطباً ودروسا وجرى لي مع أهل الفهم والظهور فيها محاورات كثيرة فوقفت على ما أحببت الوقوف عليه . أما المقاصد التي كان يدور عليها كلامي فهي محصورة فيما يأتي :

(١) وجوب الجمع بين هداية الدين والعلوم العصرية التي عليها مدار ثروة الأمة وعزة الدولة ، مع بيان عدم التنافي والتعارض بين دين الاسلام وهذه العلوم من رياضية وطبيعية واقتصادية

(٢) الاعتماد في هداية الدين على اتباع سيرة السلف الصالح من الصحابة الكرام والتابعين لهم ومن سار على طريقهم وما طريقهم إلا الاهتداء بالكتاب العزيز والسنة السنية وقد فصلت ذلك في الخطب والدروس بمطالبة العلماء بأن يعلموا الناس دينهم كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلم المؤمنين به فهديه أفضل الهدي وطريقه أقصد الطرق . و بينت ذلك في أسس الدين الثلاثة العقائد والآداب والاعمال

(٣) أما العقائد فبينت ان الاعتماد على كتب الكلام في تلقينها للعوام لا يأتي بالفائدة المطلوبة وربما يضرهم ويوقعهم في شكوك وشبهات لا يجدون منها مخرجا . ذلك بأنها لم توءلف الا لحماية العقيدة من شبهات الفلاسفة والمبتدعة كما بينه حجة الاسلام الغزالي في كتاب (الجام العوام عن علم الكلام) وفي غيره من كتبه . وإنما يجب اتباع طريقة القرآن في تلقين المسلمين عقائدهم بالاستدلال عليها ببديع صنع الله في خلق السموات والأرض وما فيها من البحار والانهار والجبال والحيوان والنبات

(٤) وأما الآداب والأخلاق فيعتمد في تعليمها على الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة الناهية عن الفواحش والمنكرات، الآمرة بالمعروف والباقيات

الصالحات ، المنبهة على ما فيها من فوائد الخير ومنافعه في الدنيا والآخرة، وغوائل الشر ومضاره في الدنيا والآخرة — وعلى سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ومن اهتدى بهديهم من الصالحين رضوان الله عليهم أجمعين

(٥) وأما الاعمال كالوضوء والتيمم والصلاة والحج فقد بينت انه ينبغي ان تعلم بالعمل كما ورد في الاحاديث الصحيحة ومنها حديث « صلوا كما رأيتموني أصلي » واذا قرأ الانسان جميع الكتب ولم يتلق الامور العملية بالقدوة فانه لا يحسنها على ان الاقوال لا يستغنى عنها في كثير من المسائل

ذكرت في عدة دروس وخطب ان هذه الطريقة هي التي يمكن تعميمها في مدة قليلة ترجى فائدتها ويظهر أثرها وانه من استطاع ان يعلم الناس كلهم أو بعضهم ما زاد على ذلك من كتب الكلام والفقه وغيرها فليفعل فالطريقة التي تقترحها لا تكون مانعة له بل تكون مسهلة عليه ولكني أرى ان من المتعذر تعميم تعليم هذه الكتب فلنبدأ بالممكن الاسهل طريقا الذي لا بد منه لكل مسلم

(٦) الحث على تأسيس الجمعيات الخيرية لانشاء المدارس ونشر التعليم الذي يتحقق به المقصد الاول من هذه المقاصد وهو الجمع بين الدين والعلوم ولاعانة المنكوبين والمعوزين عند الحاجة لتكون طبقات الامة متعاطفة متراحمة يحترم فقيرها غنيها ويرحم كبيرها صغيرها

(٧) الحث على شكر نعمة الدستور بمساعدة جمعية الاتحاد والترقي على اتمام عملها العظيم في داخل البلاد من مراقبة الحكومة لأجل الثقة بالعدل وحسن الادارة ، ومن بث الآراء والافكار التي تنفخ روح محبة الدستور والمحافظة عليه في قلوب طبقات الامة العثمانية . وقد خطبت وتكلمت في الاستبداد والدستور والمساواة أكثر من مرة

(٨) تنبيه الامة إلى ما يجب عليها من محبة الدولة العلية وبذل المستطاع في تأييدها وتعزيز جانبها . وموالاة الدول التي تواليها ومعاداة الدول التي تعاديها ومجازاة هذه الدول بالاقبال على بضائعها أو بالاعراض عنها حتى تصير الدول تخشى عداوتنا وترجو مودتنا فانه لا شيء يهم أوربا من بلادنا مثل رواج تجارتها فيها . ولما جاءنا

نبأ ضم النمسا ولاية البوسنه والهرسك الى أملاكها واعلان البلغار الاستقلال التام دون الدولة العلية وتحدث الناس باحتمال محاربة الدولة للبلغار وأظهر كثير من الشبان التطوع في الحرب بينت في خطاب ألقيته في نادي جمعية الاتحاد والترقي بطرابلس وفي خطبة ألقيتها امام الثكنة العسكرية في بيروت ان الدولة انما تحتاج الى مساعدة الامة بالمال دون تطوع الرجال لان ما عندها من العسكر كاف لمحاربة اية دولة عظيمة إذا وجد المال الكافي لتجهيزه . ثم رأيت بعد أسابيع من آخر خطبة ألقيتها في ذلك بعض الجرائد المصرية تقول مثل هذا القول الواضح لكل عارف بالحقيقة

(٩) بيان التفاوت بين الشعوب والملل في البلاد العثمانية في العلوم والمعارف والاستعداد للقيام بأعمال الحكومة والكسب والاستطراد من ذلك الى أن العرب أشد تقصيرا في ذلك من الترك والارمن والارناؤط كما ان المسلمين من العرب أشد تقصيرا من النصارى ، ولفت الاذهان الى مضرة هذا التفاوت اذا طال أمره لان الوحدة العثمانية لا تتحقق الا باتفاق جميع الشعوب والفرق التي تتكون منها الامة العثمانية واشتراكها في الاعمال التي تصلح بها الدولة وتعمر بلادها ، وهذا الاتفاق والالتئام من نتائج التقارب في التربية والتعليم ؛ فلا بد من عناية العرب عامة والمسلمين منهم خاصة بالتربية والتعليم بقصد مجاراة غيرهم من إخوانهم العثمانيين وتمكين رابطة الاتحاد بهم ومساواتهم في أعمال الحكومة ومجاراتهم في الاعمال الحرة والا ساءت العاقبة وخيف ان تساعد أوربا في المستقبل كل جنس على الاستقلال وتجعل العرب تحت سيطرتها لعدم استعدادهم لتكوين حكومة مدنية

(١٠) تكريم الشعب وتنبيهه الى انه أهل لكل مكرمة وكل خير ، وان العامي اذا اتقى الله فاجتنب الشرور والمعاصي ولزم الطاعة ورغب في الخير والبر فانه يكون خيرا وأفضل من كثير من المتعلمين الذين لا يستعملون علمهم الا لجر المنافع الى أنفسهم ولو بالباطل ، وان الفقير القانع الصالح أفضل من الغني الذي لا ينفع الامة بغناه ، ولا يقف في الكسب عند حدود الله ، وان كثيرا من الفقراء

يمكنهم ان يبذلوا شيئا قليلا من الصدقة على قدر حالهم للجمعيات الخيرية وبذلك يعدون من خدمة الأمة ونحو ذلك

هذه هي المقاصد التي كان يدور عليها كلامي وكان يفهمها المتعلم والعامي: هذا يفهم فهما اجماليا، وذلك يفهم فهما تفصيليا، وقد رضيها وأثنى عليها جميع من لقيت من العلماء والأدباء وظهر لها أثر حسن في أندهماء، لما عليه أهل بلادنا من الذكاء، وقد سألت أكثر من واحد من أهل العلم الذين سمعوا الخطب والدروس الدينية التي كنت ألقيها في المساجد: هل انتقدتم عليّ شيئا فاتقي العود إلى مثله؟ فيقولون ما يقول أهل الفضل في هذا المقام اذا كان ماسمعوا مستحسنا عندهم غير منتقد. ذكرت هذه الكلمة تمهيدا لما يأتي

حادثة الشام

ذكرت جريدة الاتحاد العثماني خبر تلك الحادثة ولم تخطيء إلا في قولها انني سافرت من الشام ليلاً والصواب أنني صليت الفجر فيها وسافرت في القطار الذي يخرج منها بعد مطلع الشمس. وقد علم القراء ان ذلك الرجل الذي قطع عليّ الدرس قبل اتمامه لم يدّع في مجلس الدرس انني قلت شيئا وأخطأت فيه وانما تكلم كلاما مستقلاً في مسألتين لم أتعرض لهما في ذلك الدرس ولا في غيره من دروسي في بر الشام باثبات ولا نفي وهما مسألة تقليد الأئمة الأربعة واعتقادفضلهم وهدايتهم ومسألة زيارة القبور واحترام الصالحين والتوسل بهم. وقد كان صاحب الفضيلة مفتي الشام حاضرا ذلك المجلس فإيَّاه اسأل دون أولئك الألوف التي كانت حاضرة الدرس: هل سمع مني كلمة مخالفة للشرع؟ ان كان سمع شيئا مخالفا فاذكّره بالميثاق الذي أخذه الله على الذين أوتوا الكتاب « ليبيننّه للناس ولا يكتمونه » ان يبين لي ذلك في كتاب خاص يبعث به إليّ وأنا أنشره في المنار وغيره مع بيان ما عندي فيه، أو في رسالة ينشرها في بعض الصحف ليظهر الحق لطالبه ولا يخوض الناس في الباطل بغير علم. وسأكتب اليه كتابا خاصا أسأله فيه هذا البيان وهو أعلم بما ورد في الكتاب العزيز والاحاديث الشريفة في وعيد كاتمي العلم

كشف شبهتين او ثلاث

إذا كنت لم أنعرض لذكر زيارة القبور والتوسل بالاموات الصالحين في شيء من كلامي في بلاد الشام فقد اشتهر عني انني كتبت كثيرا في انكار البدع المتعلقة بذلك . واذا لم أكن قد تعرضت هنا لذكر الاجتهاد والتقليد فقد علم الكثيرون انني كتبت بذلك كثيرا . وكنت أعرض كل ما أكتبه ولا أزال أعرضه لنقد العلماء وأنشر كل ما يرد عليَّ منهم في ذلك ولا تتسع هذه الجريدة لذكر شيء من ذلك وانما أريد هنا كشف شبهتين خاض فيهما بعض الناس بسوء نية وبعضهم باخلاص وحسن قصد ولكن مع سوء فهم أو تصديق للكاذبين الذين يشيعون عنا الاباطيل حتى زعموا اننا ننكر وجود الملائكة وجودا مستقلا

الأولى : أشيع عني انني أطالب كل مسلم بان يكون مجتهدا مثل الائمة رضوان الله عليهم ! وربما تطرف من يستبيح الكذب لارضاء هواه فزعم انني أطعن في الأئمة المجتهدين ! . وأقول في الجواب عن هذه الشبهة انه لا يطالب الناس بمثل ما ذكر إلا من كان لا يعقل ان هذا من طلب المحال لقصور استعداد أكثر الناس عن ذلك أو عدم تفرغهم له . ومن فهم انني أعنى هذا بالترغيب في الاهتداء بالكتاب والسنة فهو مخطئ . فانما أعني به ان وعظ الناس وتذكيرهم بالكتاب والسنة هو الذي يؤثر في قلوبهم ويبعث روح الدين في نفوسهم، وأطالب المشتغلين بالعلم ان يعنوا بفهمهما ويذكروا العامة بهما ، سواء منهم من تفرغ لدرس كتب المذاهب كبعض طلاب العلم ومن لم يتفرغ له كأكثر العامة . ومسألة النهي عن التقليد مسألة أخرى يراد بها فهم كل قول بدليله لا ان يكون كل مشتغل بالعلم قادرا على تدوين مذهب!!. وهذا ما أعنيه بالاصلاح الديني وملخصه ان يعنى المشتغلون بعلم الدين بفهم الكتاب والسنة بقدر الاستطاعة وفهم كلام الائمة بدليله وان يبذلوا جهدهم بارشاد العامة بها كما تقدم . وهذا هو عين اتباع الائمة وقد ورد عنهم نصوص كثيرة مصرحة به وهو غير التقليد الذي نهوا عنه

الثانية : انني لم أنكر زيارة القبور وانما أنكر دائما ما يكون عند زيارتها من

البدع التي لم تكن على عهد السلف الصالحين ، ولم يقل بمشروعيتها أحد من الائمة المجتهدين ، وأقول ان حب الصالحين والاولياء المقرّبين من الاحياء والميتين انما ينفع ويكون وسيلة الى الله عز وجل إذا أفاد صاحبه التشبه بهم في خشية الله وتقواه بترك المعاصي والعمل الصالح مع الايمان الصحيح والا كان غرورا . ومن الغرور الذي يمنعه الاسلام دعاء أصحاب القبور بما لا يطلب إلا من الله واعتقاد انهم يستجيبون لمن دعاهم! وان لهم سلطة غيبيه وراء الاسباب والسنن الالهية ينفعون بها ويضرون ، ويعطون ويمنعون ، فهذا الاعتقاد عبادة باطلة وان سميت توسلا فان الاسماء لا تغير الحقائق

ومما يتعلق بهـذه المسألة بحث الكرامات واني لم أنكر جواز الكرامات ولا وقوعها ولكن بينت انها لاتكون مخالفة لسنن الله تعالى في خلقه بتغيير او تبديل أو تحويل لان الله تعالى أخبر بان سننه لا تتبدل ولا تتحول . وانها لا تكون معتادة كأنها صنعة بيد الولي! بل قال في الفتوحات انها لا تتكرر فان المكرر يكون معتادا لا خارقا للعادة وغير ذلك من الاغلاط التي لا دليل عليها في الشرع ولا العقل . وحذرت عوام الأمة من الدجالين المحتالين الذين يدخلون عليها التلبيس من هذا الباب . فمن أراد أن يقف على التفصيل في ذلك، فليراجع المجلد الثاني والمجلد السادس من المنار ففيهما بضع عشرة مقالة مطولة في الكرامات . ومن يدعي ان شيئا من كلامنا المجمل هنا والمفصل هناك مخالف للشرع فعليه أن يكتب الينا دعواه مؤيدة بالدليل لننشرها اه والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

محمد رشيد رضا

باب المراسلة والمناظرة

﴿ من بحث الكرامات ﴾

الى حضرة البارع الغيور ابي عبدالله الشيخ محمد رشيد رضا صاحب المنار ايده الله وسدد مسعاه

السلام عليكم و بعد فقد طالما تشوقنا الى مناسبة المراسلة وارتباط المواصلة حتى حان وقتها بمناسبة ما كتبتموه في جريدة الاتحاد العثماني من اجمال رحلتكم إلى سورية فهنئتكم بتعاهدكم للوطن الاول وا كتسابكم علما باحوال ما كان غائبا عنكم واطلعنا على مقاصد دروسكم وخطبكم الدالة على غزارة علم وجودة براعة وحسن احساس وشعور من تنبيهكم للتعاون على البر والتقوى والتعاضد ماديا وادبيا والسعي في عمارة الدارين وحضكم العلماء والمفيدين أن يكون وعظهم وتعليمهم مؤسسا على الكتاب وما صح من السنة فقهاً وعقائد وآدابا فلقد وفيتم ماعليكم من مسؤلية قوله تعالى(ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف) الآية وقد بلغتم تلك النصائح بالحكمة والموعظة الحسنة فصنعكم هذا لا ينكره عالم يتحرى السنة والجماعة ولا يستثقله الا جاهل أوحاسد فنشكركم على تلك الهمة والحزم السديد

بقي بحث الكرامات ذكرتم انكم لم تتعرضوا له في الشام وقد تعرضتم له الآن اما ما أحلتم عليه في مجلدات المنار فمع الاسف انني الى الآن مارأيت من المنار عددا للسبب الذي كان حائلا في الاستانة كما لا يخفى ولكن النقطة المقصودة هنا من بحث الكرامات جلية من الاجمال المسطور في الاتحاد العثماني وقد أكدتم على أهل العلم ان يكتبوا لكم ماظهر لهم فإنكم طوقتم أعناقهم امانة شديدة المسؤلية فيكون السكوت منهم وفاقا في جميع ماهو مسطور هناك فاخترت مكاتبتكم بما عنَّ لي والمأمول من كمالكم الانصاف والرجوع الى الحق الذي يتبيَّن لكم فنقول: قولكم في الكرامة « انها لاتكون مخالفة لسنن الله تعالى في خلقه بتغيير أوتبديل أوتحويل لان الله تعالى أخبر بأن سنته لاتتبدل ولاتتحول » هذا لفظكم تعنون

قوله تعالى (فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا) تفسير هذه الآية ونحوها بعدم خرق العادة وعدم انحراف سبيل الطبيعة في الكون موجب للاسف وقد سمعت الاحتجاج بها مرارا على لسان من يدعي انحصار حوادث الكون في الاسباب انحصارا كليا ورأيته في كتب جديدة عربية وتركية ولا أدري أول من دس هذا البلاء تحت هذه الآية الكريمة فهو دفع للمعجزات النبوية بالصدر لانها محض خرق العادة وما هو الا تبديل وتحويل لما هو معتاد في النظام الكوني وليس لاحد ان يفرق بين المعجزة والكرامة في أصل التبديل والتحويل لانه لادليل على تخصيص عدم التبديل والتحويل بزمان دون زمان فالمراد بسنة الله في الآية نصره لانبيائه ومن قفاهم، وخذلانه لاعدائه ومن والاهم، ونحو ذلك من احقاق الحق وابطال الباطل . قال المحقق مجدد القرن الثاني عشر الامام الشوكاني في تفسير فتح القدير تحت هذه الآية مانصه «فهل ينظرون أي فهل ينتظرون الاسنة الاولين أي سنة الله فيهم بأن ينزل بهؤلاء العذاب كما نزل باؤلئك فلن تجد لسنة الله تبديلا أي لايقدر احد ان يبدل سنة الله التي سنها بالامم المكذبة من انزال عذابه بهم بأن يضع موضعه غيره بدلا منه ولن تجد لسنة الله تحويلا بأن يحول ماجرت به سنة الله من العذاب فيدفعه عنهم ويضعه على غيرهم ونفي وجدان التبديل والتحويل عبارة عن نفي وجودهما ثم قال أولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم هذه الجملة مسوقة لتقرير معنى ما قبلها وتأكيده »

ومثل الشوكاني سائر المفسرين من أئمة الدين ولا يقال هنا العبرة بعموم اللفظ لأن المعنى الذي زعموا تناول اللفظ اياه مناقض لاكثر آيات القرآن التي قصت وقائع الانبياء وغيرها من عجائب قدرة الله كنار ابراهيم وعصا موسى وخلق الله عيسى بلا اب وواقعة اصحاب الفيل وغير ذلك ولنا ان تقول نزوعا بالآية اعتباراً بعموم اللفظ عموما لاينقض آية اخرى من سنة الله ان يخلق اشياء باسباب لحكمة واشياء بلا اسباب لحكمة ولن تجد لسنة الله تبديلا . واعجبني ما كتبه صاحب الحمية الاسلامية مفتي الديار المصرية في كتابه المسمى « الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية» بعد اشارته الى حديث« لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا

بذراع » قال في صحيفة ١٣٨ : ومن اتبع سنن قوم استحق الوقوع تحت احكام سنن الله فيهم فهل ينتظر المتبعون سننهم السائرون على أثرهم ان يصنع الله بهم غير الذي صنع بسابقيهم وقد قضى بان تلك سنته ولن تجد لسنة الله تبديلا . اه فان كان مرادكم سد الذريعة خوف توسيع الخرق على الراقع من جهة العامة فسد الذريعة من أصول الشريعة لكن مع السلامة من مفسدة أكبر من تلك وخوفكم على العامة بهذه المثابة إفراط فانه لاتلازم بين جواز وقوع الكرامة خرقا للعادة باذن الله وجواز مايعمل من البدع في زيارة الاولياء والغلو في الاعتقاد . وانتم تعلمون ان الكرامة ثابتة عند أهل السنة قاطبة حتى الاسفرايني والقشيري المروي عنهما البحث في شأن الكرامة ما انكراها وانما قالا لا تبلغ مبلغ المعجزة و بعضهم شرط ان لاتتوالى وتترادف ترادفا يجعلها عادة وفيه نظر . وكلامنا الآن في جواز اصل وقوعها امكانا وسنة، لا في عوارضها وارشاداتكم على طريقة السلف الصالحين في الاعتقاد ، وهل نطق بذلك احد من اهل القرون الثلاثة؟ فتأملوا المسألة فان خطرها كبير والماديون والطبيعيون بالمرصاد فاذا سمعوا علماء الملة يقولون بعدم خرق العادة فيا بشراهم يبنون على هذا الاساس الموهوم ماشاءوا لان مذاهبهم انعزال الخالق جل جلاله عن التصرف فى العالم استغناء بالطبيعة أعاذنا الله وإياكم من الضلال و بالله تعالى التوفيق

محمد المكي بن عزوز بالاستانة

(المنار) إننا لا نقول بأن ما يعبر عنه بخوارق العادات غير جائز ولا غير واقع بل نقول الآن كما قلنا من قبل انه جائز وواقع وان كانت الآيات التي أيد الله بها الانبياء ليست محصورة في الخوارق الكونية وقد كانت عبارة الكرامات التي ذكرناها في المقالة التي نشرناها في جريدة الاتحاد العثماني مجملة لأننا كتبناها بعد كتابة تلك المقالة فأودعناها بين سطورها في المكان اللائق بها فكان إيجازها هو السبب في إجمالها ولم نر بذلك بأسا لاننا أحلنا على ما سبق لنا من التفصيل الذي يبين مرادنا . وفي تلك المقالات التي نشرت في المجلد الثاني والمجلد السادس بيان مستفيض لكل ما ألم به صاحب هذه الرسالة ومنه البحث في تأييد الدين بالخوارق

وفي عد كثير من علماء الدنيا إياها شبهات على الدين ومنفرات عنه فعسى أن يطلع عليها كلها ثم يبين لنا رأيه فيها . واننا ننقل الآن لهشيئامنها يتعلق بمرادنا من قولنا ان الكرامات لا تكون مغيرة لسنن الله تعالى

كتبنا في المقالة الثامنة من مقالات « الكرامات والخوارق » التي نشرناها في الجزء الأول من المجلد السادس الذي صدر في غرة المحرم سنة ١٣٢١ مانصه (ص١٧)

« أما البحث في آيات الأنبياء كيف وجدت وهل كانت كلها بمحض قدرة الله تعالى التي قامت بها السموات والارض أم كانت لها سنن روحانية خفية عن الجمهور خصهم الله تعالى بها كما خصهم بالوحي الذي هو علم خفي عن الجمهور ؟ فكل ذلك مما لا يفيد البحث فيه بل ربما كان ضارا .ومبلغ العلم فيهاانهاكما قال ابن رشد قد وجدت ونقلت نقلا متواترا اعترف به المؤمنون بهم والكافرون الذين سموها سحرا لجهلهم بالتفرقة بينها و بين تلك الشعوذات والحيل الباطلة. وفي شرح المواقف ان المعجزة كل ما يراد به إثبات النبوة وان لم يكن من الخوارق

« فعلم بهذا ان آيات الأنبياء عليهم السلام مصونة من انكار المنكرين ، واعتراض الواهمين ، وانها قد انتهت فلا يخشى ان يضر الاعتقاد بها في الزمن الحاضر وما بعده كما انه لم يضر في الماضي وإنما كان نافعا » اه من سياق الكلام في مبحث تنفير الخوارق عن الدين

وذكرنا في المقالة التاسعة التي نشرت في الجزء الثاني من ذلك المجلد (ص ٥٥ م ٦) عدة مسائل فى الموضوع الأولى منها فى سنن الكون وكونها عامة فى ارتباط الاسباب والمسببات والثانية فى كون الظن لا يعارض اليقين والثالثة فى كون روايات الآحاد تفيد الظن . والرابعة فى كون العجائب والخوارق قد نقلت عن جميع الامم ووجوب تمحيص النقول وتحريرها . والخامسة فى تمحيص المروي «ليعلم انه واقع حقيقة ولم يكن تخييلا للانظار ، أو خداعا للأبصار أو الافكار ، » وهذا نص السادسة :

«قد كشف العلم أسبابا لامور كثيرة كانت تسمى خوارق وكرامات فاذا علم بعد تمحيص الروايةوالمروي أن شيئا من هذه الغرائب وقع لا محالة فينبغي الرجوع

لالتماس الاسباب من مظانها في العلم الطبيعي وعلم النفس فان لم يظهر له سبب يحمل عليه، ولا وجه يمكن ان يؤول اليه ، فهوالذي يصح ان يسمى خارقة أو أعجوبة ، والنظر فيه من وجهين: حال من ظهر على يده وامكان قياسه على غيره ، ثم بينا ذلك والغرض منه — كما لا يخفى — تنبيه الناس لحيل الدجالين ، وجذب مبغضي الخوارق الى الدين ، ولذلك قلنا في المسألة العاشرة (ص ٥٩ م ٦) مانصه:

«اذا فرضنا ان العلم أظهر لما يوءثر من المعجزات عللا روحانية ، وأسبابا خفية ، (أي كما يعتقد منكرو الخوارق الآن) فلا يهمن واهم ان ذلك قدح في النبوة أو ظهور لبطلانها ، كلا إن تحقق (تأمل) فلا يبعد ان يكون تحققه مظهرا لحقيقة النبوة كأن يتبين ان الارواح العالية التي تتصل بالعالم الاعلى وتستمد من عالمه الذي يسمى الملائكة قوة العلم والهداية وقوة الاعمال الغريبة كإحياء الموتى وقلب العصا حية . فان لم يتبين به صدقها فلا وجه لظهور عدمه لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام ما كانوا يدعون أن الآيات التي يؤيدهم الله تعالى بها خارجة من سننه الظاهرة والخفية ، وماكانوا يدعون ان لهم سلطانا في ملك الله تعالى يتصرفون فيه بمشيئتهم وارادتهم كما شاؤا وكيفا شاؤا ، وإنما كانوا يتبرؤن من حولهم وقوتهم و يسندون مايؤيدهم الله سبحانه به اليه و يقولون انه واقع بإذنه ، وقد كان اعتمادهم في دعوتهم الى الله على البرهان ، وكانوا لا يعطون الآيات الا بعد معاندة ومجاحدة من قومهم والحاح في طلب آية لا يعرف مثلها عن البشر في افعالهم السببية ، وكان الله تعالى يقيم عليهم الحجة التي يطلبونها ولم تكن هي العمدة في إثبات الدعوة الى الله و بيان وحدانيته وقدرته وعلمه ووحيه (ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم ؟ جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم وقالوا انا كفرنا بما أرسلتم به و إنا لفي شك مما تدعوننا اليه مريب * قالت رسلهم افي الله شك فاطر السموات والارض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم و يوءخركم الى أجل مسمى؟ قالوا ان أنتم الا بشر مثلنا تريدون ان تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين * قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمنّ على من يشاء من عباده وما كان لنا ان نأتيكم بسلطان الا بإذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون) فهذه سنة الله في الانبياء والامم : يدعو النبي قومه

الى الله بالبينة وهي كل مايتبين به الحق من برهان عقلي ودليل إقناعي فيطلبون منه آية كونية فيتبرأ من حوله وقوته الى حول الله وقوته فيعطيه آية يخوفهم بها فيخضع المستعد لقبول ذلك، ويعاند الآخرون فتحق عليهم كلمة العذاب، قال تعالى (وما نرسل بالآيات الا تخويفا)

«فاذا فرضنا ان العلم أظهر سببامعقولا لآيات موسى عليه السلام فهل ينافي ذلك أنها كانت تخويفا لفرعون وقومه وجاذبة لبني إسرائيل الى طاعة موسى بالارهاب اللائق بأمثالهم في بلادتهم وجفوتهم ؟

« نعم ان مايتوقع كشفه بالعلم سيكون القاضي على بقايا دين لايحتج على صحته الا بالعجائب وليس لاصحابه برهان على عقائدهم، ولاسندمتواترعلى صحة كتابهم، أولئك الذين ينعقون في كل بلاداسلامية : ان القرآن لم يثبت لمحمد (عليه افضل الصلاة والسلام) العجائب والخوارق فهوليس بنبي ودعوته ليست صحيحة !!. فالعلم الإلهي والشرائع الدينية والمدنية والحربية والسياسية وتكوين الامم وتربيتها من رجل أمي تربى يتيما في جاهلية جهلاء وأمة أمية لايرونه تأييداً الهيا ،وبرهاناعلى صدقه قطعيا، وإنما البرهان عندهم هوتلك الحكايات التي ينقلونهافي عجائب مقدسيهم وينقل الوثنيون عن كهنتهم أعظم منها » اه ومنه يعلم اخونا صاحب الرسالة مرمانا في هذه المباحث وانها تأييد دعوة الانبياء ومحاجّة منكري آياتهم ومعجزاتهم ، فهل يخاف بعدهذا ان يكون كلامنا حجة لهم ؟؟ ولا يحسبن اننا نصور شبها لم ترد علينا كما فعل كثيرمن علمائنا كالرازي وغيره .كلا اننا نرد على قوم موجودين وشبهات كثر الحديث فيها. وهاك نص المسألة الثانية عشرة(ص٦١م٦):

«سبق في المقالات الاولى ان اصحابنا فرقوا بين معجزة النبي وكرامة الولي بأن الاولى لابد ان تكون مقرونة بدعوى النبوة وطلب المعارضة الذي يسمونه التحدي، والثانية لاتكون كذلك. وبأن الاولى يجب إظهارها لاقامة الحجة، والثانية يجب إخفاؤها خوف الفتنة ،وزاد بعضهم كالقشيري من أئمة الصوفية والسبكي في الطبقات الكبرى ان الكرامة لا تبلغ مبلغ المعجزة كإحياء الموتى وانما تكون فما دون ذلك كشفاء مريض ومكاشفة خلافاللقول المشهور: ماجاز أن يكون معجزة لنبي جاز أن يكون

كرامة لولي . ولقائل ان يقول جمعا بين القولين : اذا جاز ذلك في تصور العقل فانه ماوقع ولا يقع بالفعل » اه

هذا وقد بحثنا في مسألة الخوارق والسنن الالهية في غير هذه المقالات كدروس الامالي الدينية في العقائد و بينا ان السنن منها مايتعلق بالعالم المادي ومنها مايتعلق بالعالم الروحاني وان من يقول ان آيات الانبياء والكرامات لاتخالف سنن الله تعالى فمراده سننه العامة لان مخالفتها للسنن المادية قد شوهد في زمن ظهورها ونطق به الكتاب المعصوم وهذا الذي أوردناه هنا يكفي لتفصيل ماراه اخونا الكريم صاحب الرسالة في مقالتنا التي نشرناها في جريدة الأتحاد العثماني

وانا نشكر له فضله وعنايته بما كتبنا ومراجعتنا فيما انكره منه فعسى ان يكون الشكر مدعاة المزيد من مثل هذه المراجعة المفيدة ومثله أهل لذلك . فحيا الله العلماء المنصفين، وجعل سيرتهم عبرة يستفيد منها الناس التفرقة بين علماء الآخرة وعلماء السوء الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين آمنوا فاذا رأوا عبارة يمكن انتقادها لاجمال فيها وغموض ، أو لكونها خطأ لصدورها عن غير معصوم ، اخذوا يشنعون ويغتابون، ولكنهم لاينبهون صاحبها ولا ينصحون ، وان لم يجدوا ذلك استنبطوا واخترعوا ، وتقولوا وكذبوا ،

ان يسمعوا الخير أخفوه وان سمعوا شرا اذاعوا وان لم يسمعوا كذبوا

صدى حادثة الشام

﴿ في تونس ﴾

جاءنا هذا الرقيم من أحد علماء تونس المصلحين وقد سألنا نشره في المنار وانا ننشره اجابة لسؤله مع الشكر له ولاولئك الذين يحسنون بنا الظن قال :

أيها السيد الكريم

من ذا الذي يعلم خدمتك للملة ، وجهادك في سبيل ترقية الامة ، ثم لا يسجد



آثار علمية ادبية

الانقلاب العثماني

طبعت رسالة الانقلاب العثماني بمطبعة المنار في كتاب مستقل (١)
وهذا نص المقدمة التي كتبها له شقيقنا السيد حسين وصفي رضا:

بسم الله الرحمن الرحيم

(وشاورهم في الامر)
(وامرهم شورى بينهم)
« القرآن الحكيم »

كانت الدولة العثمانية منذ أسسها السلطان عثمان ذلك الرجل المدبر العصامي، الى نهاية أيام السلطان عبد المجيد العاقل الابي، — دولة حربية بحتة، شادت بناء عظمتها على أسس الاقدام والشجاعة والغلب، فلم يمض زمن كبير حتى اصبحت من الدول ذوات البأس اللائي يتقى غضبهن، وتخطب مودتهن، فأمعنت في الفتوحات، واسترسلت في الغزوات، وقلما كانت ترجع من غزوة إلا و بنود الفلج تخفق فوق رأسها، ورايات الظفر تمايل في أيدي رجالها الكماة صلفا وفخرا، فعز مكانها، وتطاول بنيانها، واتسع ملكها، حتى تغلغلت في أحشاء أوربا، بعد أن استحوذت على آسيا الصغرى وجزء كبير من إفريقيا.

(١) بلغت صفحاته ١٨٢ بالقطع الصغير وهو يباع بثلاثة قروش صحيحة في مكتبتي المنار بمصر وطرابلس

كانت سريعة الخطى في هذه السبيل فسادت وشادت ، و بنت على أطلال الدولة السلجوقية دولة عظيمة قوية ، وما كان العظم في تلك العصور التي يسمونها العصور المظلمة الا بقوة المراس ، وثبات الجاش ، والنشوء بين صليل السيوف ، ومزاحف الصفوف .

أخذ بعضدها فاتح القسطنطينية وكان تميا صالحا فأناف بها على اليفاع ، وتوقل بها سنيّ المراتب ، ناهيك بمالك القسطنطينية اذا كان خيّرا عادلا ، وما زالت تتدرج في منازل العظمة ، ومواطن السؤدد ، حتى كانت أيام السلطان سليمان القانوني ، وفيها بلغت آخر مدى ووقفت عند منتهى النأي ، وهو صاحب الفضل في جعلها حكومة نظامية قانونية ، بعد ان كانت تجري على تقاليد محفوظة ، لا غناء بها ، ولا نظام لها ، ومن ذلك الحين دب الضعف في جسمها وكان اهمال أولي الامر وجهلهم وسومهم الرعية سوء العذاب مساعدا على نماء الضعف ، وسريانه في جسم الدولة ، الى أن تولى السلطان محمود الثاني ذلك المحب للاصلاح ، والدولة على شفا جرف هار ينذرها بالاضمحلال والفناء ، الفاها وقد فقدت تلك القوة التي كانت تباهي بها ، ولم تضرب بسهم في العلم الذي أصبح السلاح القاطع والقوة الكبرى في ذلك الحين وهذا الحين ، فقوّم منآدها بما في وسعه ، واصلح فاسدها بما في طوقه ، ومما يذكر له بالثناء عليه تنكيله بالانكشارية الذين كان زمام الملك في يدهم لذلك العهد ، وكانوا من أشد العوامل في افساد الدولة وإضعافها

ثم تولى الملك السلطان عبد المجيد والدولة في قلاقل داخلية ، ومشكلات خارجية ، تضعف الرجاء في إقالتها من عثرتها ، وانهاضها من كبوتها ، بله ارجاعها الى سابق عزها ، وسالف مجدها ، فأخذ بضبعها ، وحدد للحكومة وظائفها ، و بين للرعية حقوقها ، و يكفيه فخرا انه هو الواضع لخط « كلخانه » المعروف

لم يكد عبد المجيد يوارى في رمسه حتى قام السلطان عبد العزيز وهو الذي زُيّن له حب الشهوات، وأولع بحب السيطرة ، واشرب قلبه القسوة ، ينكث فتل سلفه ، و يصدع رأب سابقه ، وكان عونا له على هذا التخريب وزيره محمود نديم باشا ، حبيب (اغناتيف) السفير الروسي في ذلك العهد ، ومنفذ غايه ومقاصده

ثم جلس على سرير الملك السلطان عبد الحميد الثاني ، بعد ان تولى الملك السلطان مراد مدة لم تتجاوز ثلاثة وتسعين يوما ، ولم يكد يستقر على السرير حتى أحاط به جمهور من الاحرار ، وزينوا له ان يسير على سَنن أوربا ، فتكون حكومته دستورية حرة ، وكان مدحت باشا هو الرأس المدبر لهذه الحركة ، واليد العاملة فيها ، ولم تكد تقر عيونهم بتحقيق الرغبة ، حتى فوجئوا بالنفي والابعاد ، وإلقائهم في غيابة السجون ، وإغراقهم في لجج البوسفور ! ! !

ابتدأت المظالم منذ ذلك الحين تحارب الامة في جميع مقومات الحياة، والتف حول السلطان فريق من الجواسيس « يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية» فطفقوا يرضون المخلوق بما يسخط الخالق ، واقترعوا ضروبا من الظلم ، وأفانين من الارهاق والتضييق ، كانوا يصولون بها على الأمة صيال الوحوش الضارية ، والطيور الكاسرة ذوات المخالب ، وامتد بهم الافساد الى أن سلطوا بعض رجال الامة على بعض ، ففتوا في عضدها ، وأفسدوا أخلاقها ، حتى بات الابن يخشى ان يأتيه الضر من قِبَل أبيه ، والأخ يتوقع ان يحيق به البلاء من ناحية أخيه ، وكان العلم أخوف ما يخافونه ، فنكلوا برجاله شر تنكيل ، ففر منهم من أفلت من ظلمهم الى أوربا وأمريكا ومصر .

كان الاحرار في غضون هذه الملمات والكوارث النازلة بأمتهم قد اجمعوا أمرهم سرا وانشأوا الجمعيات السياسية في بلاد الحرية التي تبوأوها ، ونشروا الجرائد والكتب والرسائل ، وكلها تنديد بالحال الحاضرة ، وغلا في ذلك قوم واستخذى آخرون ، حتى قام فريق من الشبان في الاستانة — ومعظمهم من طلاب المدرسة الطبية والمتخرجين فيها — فأسسوا جمعية الاتحاد والترقي منذ ثماني عشرة سنة ، ثم نمت وعظمت بعد ذلك ، وانتظم في سلكها كثيرون من كبار الاحرار وخيار العقلاء . وقد كان لرجالها تكتم غريب ، وتحفظ شديد ، وحزم عظيم ، كانت بدايته السلامة من صولة الجواسيس ، ونهايته ذلك الفوز الكبير والنصر المبين ، إذ قاموا بقلب أعرق حكومة في الاستبداد الى حكومة دستورية حرة ، من دون ان

براق في سبيل ذلك نقطة دم ، مع أن المسطور في التواريخ ان مثل هذا الانقلاب لم تصل أمة إلى ساحله الا بعد خوضها في بحر لجي من الدم ،

لم تكن دهشة الامة العثمانية واعجابها بهذا الانقلاب بأكثر من دهشة سائر الامم الاخرى ، فقد تجاوزت صيحات (نيازي) و (أنور) بلاد الدولة العلية الى مدن أوربا وغيرها ، فالتفتت مذعورة حائرة من هذا المصير العجيب الذي ما كان يخطر لها ببال ، ولا يزال الناس فيها وفي غيرها من بلاد الدنيا معجبين بهذا الانقلاب الذي لم يع التاريخ في صدره له ضريبا ، حائرين في أسبابه ومقدماته ، حتى قام اليوم الكاتب السيامي ، والاديب الألمعي ، صديقنا محمد روحي بك الخالدي ، عضو القدس الشريف في مجلس النواب العثماني — بتأليف رسالة جليلة في هذا الموضوع ، أماط فيها اللثام عن الاسباب المجهولة ، والحقائق المخدرة ، وقد بحث فيها بحثا فلسفيا في أصل الاستبداد ونشوءه ، وشكل الحكومة العثمانية في بدء تأسيسها ، وبيان تقاليدها الموروثة ونظاماتها المكتسبة ، وشيوع الخلل في إدارة الدولة واستبداد أولي الامر فيها ، مما أدى بها الى شر حالة ، وكان سببا في قيام الاحرار ومطالبتهم بالاصلاح ، وأفاض القول في شؤون الاحرار وتاريخ ظهورهم ، وبيان الطرق التي سلكوها ليصلوا الى مقاصدهم ، مع تراجم لمشهوريهم .

جال المؤلف في ذلك جولة المؤرخ الواقف على الحقائق ، واستنتج من الحوادث التي سردها أن الانقلاب هو النتيجة التي لا بد منها لتلك المقدمات التي سبقته ، فكان ما كتبه جديراً بأن يكون رائدا لمن يأنس في نفسه شغفا الى استكناه تلك الغوامض التي ادهشت العالم ، وقلبت كيان السياسة ، وأي قارىء ليس شغوفا بذلك ؟

نشرت الرسالة في مجلة (المنار) فكانت موضع استحسان العلماء العقلاء ، والكتاب الابيناء ، وكان بدا لي ان استأذن مؤلفها في طبعها على حدة لتكون كتابا مستقلا تلذ مطالعته ، وتسهل مراجعته ، فكتبت اليه راغبا في ذلك ، فرجع القول مليا الطلب ساحما بتنقيح ما لا تسلم منه كتابة المتسرع ، ولا سيما اذا كان كمؤلفنا لم يُتح له ان يعيد النظر على ما كتب ،

واني أزفها اليوم الى الناطقين بالضاد مطبوعة طبعا صحيحا ، رجاء ان يستفيدوا من تحقيق مؤلفها ، ويقفوا على أسباب ذلك الانقلاب العجيب . وخليق بأهل هذا

القطر الذين شغفوا بالدستور وقد ضلوا طريقه، ولم يهتدوا إلى بابه ، أن يمعنوا في معانيها ويتبينوا مراميها ، عسى ان يتأسوا بأولئك الاحرار، ويكونوا من خير المحتذين لهم في هذه الديار

القاهرة في سلخ ذي القعدة سنة ١٣٢٦

حسين وصفي رضا

التقريظ والانتقاد

حالت كثرة المواد في أجزاء المجلة الأخيرة دون التنويه بالكتب التي أهديت الينا، وذكر المجلات والجرائد التي صدرت في هذه الفترة ، ولما كان هذا الجزء هو آخر أجزاء السنة التي أهديت الينا فيها تلك المطبوعات رأينا ان ننوه بها على سبيل الاختصار ، وربما نعود إلى الكلام على مايستدعي منها الكلام في السنة الثانية عشرة :

﴿ الكتب ﴾

تاريخ مشروع السكة الحجازية

ألفه صديقنا الشيخ محمد انشاء الله صاحب جريدة « وطن » الهندية الشهيرة في ثلاث لغات : الاوردية والعربية والانكليزية وهو تاريخ مفصل لهذا المشروع الجليل

اتمام الوفاء

مؤلفه الشيخ محمد الخضري المدرس في مدرسة القضاء الشرعي وهو يحتوي على سيرة الخلفاء الراشدين وقد جعله مؤلفه قسمين : قسماً سماه عصر اتحاد الكلمة وقد ذكر فيه الفتوحات ونبذة من نظامات الأمة الاسلامية في ذلك الحين ، وقسما سماه عصر الفتن وهو ما كان في أيام الخليفتين عثمان وعلي (رض)

والكتاب يقع في ٣٣٩ صفحة بالقطع الصغير ويباع بخمسة قروش في جميع المكتبات

تاريخ اسلاميت

مؤلفه الدكتور . ر . دوزي الهولاندي أحد علماء المشرقيات الاعلام ومن اعضاء المجامع العلمية في أوربا ، وهو كتاب جليل ترجمه باللغة التركية الدكتور عبد الله بك جودت منشيء مجلة « اجتهاد » وصفحاته ٣٣٤

المنهج المسلوك

ألفه الشيخ عبـد الرحمن بن عبد الله من علماء القرن السادس للملك الناصر صلاح الدين يوسف وقد طبع على نفقة أحمد زكي افندي أبو شادي ومحمد رشدي افندي الخبير بالمحاكم الاهلية وهو يطلب منهما وصفحاته ١٤٠ بقطع المنار

تأويل مختلف الحديث

هذا الكتاب من نفائس الكتب وضعه الإمام ابن قتيبة الدينوزي من أهل القرن الثالث « في الرد على أعـداء أهل الحديث والجمع بين الأخبار التي ادعوا عليها والاختلاف والجواب عما أوردوه من الشبه على بعض الاخبار المتشابهة أو المشكلة بادي الرأي » وقد طبعه الشيخ زكي فرج الله الكردي بعد ان صححه على نسخة مصححة بقلم السيد محمود شكري الآلوسي عالم العراق ونسخة مصححة بقلم الشيخ جمال الدين القاسمي الشهير وحسب الكتاب ثقة ان يكون مصححا بقلم هذين العالمين ، ويطلب من طابعه بمصر

ثمار القلوب

مؤلفه الامام ابو منصور الثعالبي صاحب يتيمة الدهر وفقه اللغة وهو من كتب الادب التي يرغب فيها ، ومن ذا الذي لا يرغب في كتب الثعالبي من الادباء؟ والكتاب يقع في ٥٦٠ صفحة مطبوع طبعا نظيفا على ورق جيد ويطلب من طابعه احمد زكي افندي ابو شادي بمصر

الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده

تأليف صديقنا سليمان افندي البستاني العضو في مجلس المبعوثان عن ولاية بيروت والكتاب يحتوي على فصول كثيرة من آراء المؤلف ومروياته ومرئياته ، وهو مطبوع

طبعا نظيفا على اجود ورق وصفحاته ٢٠٣ وثمنه ١٢ قرشا صاغا وهو يباع في جميع المكتبات ويطلب من اسعد افندي البستاني بشارع صندوق الدين بمصر

تركيا الجديدة

مؤلفه جميل افندي معلوف من مشهوري كتاب السوريين في أمريكا وقد قسمه الى ستة كتب: (١) اسباب الانحطاط في الشرق ،(٢) تفرنج الشرقيين ، (٣) التعليم ،(٤) القانون الاساسي ،(٥) الديانة السياسية،(٦) ابقاء أم فناء. وختمه بفصل في حقوق الانسان وملاحظات متفرقة .

عفة الاولاد

كتاب صغير يحتوي على نصائح وعظات يجدر بالنابتة أن تعني بتلاوتها وتدبرها ترجمه بالعربية سليم افندي خوري «بقلم سكرتير مالي السودان» وهو يطلب منه

جواهر الحكماء

هو مجموع رسالتين إحداهما لابن المقفع والاخرى للحافظ ابن عبد البر الاندلسي جمعهما في كتاب واحد عوض افندي واصف صاحب مجلة المحيط ويطلب منه وثمنه ثمانية قروش.

الدواوين الشعرية والرسائل والقصص

ديوان احمد نسيم

احمد افندي نسيم من شعراء مصر المشهورين وقد جمع شعره في كتاب بلغت صفحاته ١٣٩ مطبوع طبعا نظيفا على ورق صقيل

ديوان الحمويات

نظم هذا الديوان السيد محمد الحسن الحموي وهو يحتوي على موضوعات شتى وكثير من المقاطيع وقد طبع بالقطع الصغير وصفحاته ٢٠٨ ويطلب من ناظمه بحلوان

رسالة العطور

ترتيب محمد توفيق افندي عطار الدمشقي نزيل الاستانة وهي رسالة في علم الفرائض سهلة العبارة حسنة الترتيب

تاريخ الحرمين وبيت المقدس

كراسة لأحمد حافظ افندي هدايه وتطلب منه بطنطا

المبادىء النحوية

رسالة في النحو مختصرة سهلة للشيخ مصطفى بكري الاسيوطي « مدرس اللغة العربية بالمدارس الحرة »

فتح القيوم

وهي ختمة مقدمة ابن آجروم للسيد محمد بن سودة من علماء فاس

في سبيل الدستور الفارسي

كراسة تحتوي على خطب وكلمات جمعها حسين افندي ابراهيم الايراني نزيل مصر

يوم الحساب

هو الجزء الاول من مجلة حدائق الظاهر لصاحبها أحمد زكي افندي أبوشادي ومحمود افندي عباس وثمنه ٣ قروش

ربة الجمال

قصة ترجمها باللغة العربية اسكندر افندي خوري وتباع بستة قروش في المكتبة الشرقية

﴿ المجلات والجرائد ﴾

الشرق الادنى The Near East.

مجلة انكليزية مصورة تبحث في شؤون الشرق الادنى خاصة ، وتطبع على أجود ورق ، وتنشر صورا للبلاد الشرقية ورجالها ومجالسها وغير ذلك في غاية الاتقان ، وموضوعها سياسي مالي أدبي ، وهي تصدر في لندرة وثمن الجزء منها نصف شلن ، ولم يكتب عليها اسم صاحبها أو أصحابها

الجنس اللطيف

مجلة « أدبية اجتماعية لصاحبتها ومحررتها ملكه سعد » تصدر في مصر مرة في الشهر

باثنتين وثلاثين صفحة وطبعها في غاية الجودة، وورقها صقيل وموضوعها جليل، تخليق بالشبان والشواب التوفر على مطالعتها، وقيمة اشتراكها أربعون قرشا صاغا في السنة

بيان الحق

مجلة تركية تصدر في عاصمة السلطنة العثمانية، وتنشر أفكار الجمعية العلمية الاسلامية ثمة، وهي دينية علمية سياسية أدبية تصدر مرة في الاسبوع، وقيمة اشتراكها في السنة ٩٥ قرشا صاغا عثمانيا وثمن النسخة قرش ونصف

المباحث

صدرت هذه المجلة التي أشير اليها في (ص ٦٣٦ م ١١) وهي كما كان ينتظر من منشئيها صديقينا جرجي افندي يني وأخيه صموئيل افندي، فهي تدل على علم وبحث واضطلاع، ويقع الجزء منها في ٤٨ صفحة وقيمة اشتراكها في طرابلس الشام ١٥ فرنكا و ١٧ في الخارج

روضة المعارف

« مجلة علمية أدبية تاريخية فكاهية اخبارية تصدر في كل خمسة عشر يوما مرة » في بيروت لمديرها محمد علي بك القباني ورئيس تحريرها الاستاذ عبد الرحمن افندي سلام من علماء بيروت. جاءنا الجزء الاول منها منذ شهرين وهو مصدر بصورة السلطان !! وقيمة اشتراكها ريالان في بيروت و ١٢ فرنكا في خارجها

المنتقد

« مجلة عمرانية اجتماعية انتقادية فكاهية » تصدر في بيروت مرتين في الشهر بالقطع الصغير، لمنشئها محمد افندي باقر ومديرها كمال افندي بكداش، وقيمة اشتراكها ٣٥ قرشا في بيروت و ١٠ فرنكات في خارجها

الاعمال اليدوية للسيدات

مجلة ذات رسوم لصاحبتيها فاسيلا وأختها وقيمة اشتراكها ستون قرشا صاغا في مصر

القرطاس

« مجلة علمية أدبية مدرسية تصويرية » تصدر في آخر كل شهر افرنكي في الاسكندرية لمديرها أحمد افندي فائق وقيمة اشتراكها ٢٠ قرشا صاغا

الجامعة المصرية

مجلة نصف شهرية مصورة تنشر محاضرات أساتذة الجامعة المصرية لاصحابها محمود افندي شاهين ومحمد كامل افندي فيضي وعبدالله افندي أمين وقيمة اشتراكها مئة قرش في مصر لغير طلبة الجامعة

المدرسة

« مجلة علمية أدبية تاريخية يقوم بتحريرها نخبة من كبار الأدباء والكتاب» تصدر في الشهر مرة باثنتين وثلاثين صفحة وقيمة اشتراكها ٤٠ قرشا في مصر

فرعون

مجلة تبحث في شؤون القبط الملية وتصدر في الشهر مرتين لمديرها توفيق افندي حبيب واشتراكها ٢٠ قرشا في مصر

صحيفة

مجلة أوردية تصدر في حيدر أباد الدكن (الهند) لمنشئها مولوي محمد أكبر علي معتمد مجلس المعارف ثمة

ابو قشه

جريدة اصلاحية اسبوعية تنشر الجد في قالب الهزل، يصدرها في تونس السيد الهاشمي احد الكتاب المشهورين، وقيمة اشتراكها في السنة عشرة فرنكات

الحكيم

جريدة اسبوعية « حرة تبحث في كل شيء » يصدرها في كوردوبا (الارجنتين) عزيز افندي حكيم ولها عناية خاصة بالابحاث الفلسفية

شمس العدالة

جريدة اسبوعية « سياسية فنية ادبية » أنشأها فريق من الكتاب باللغة العربية في الاستانة، وقد سموها في هذه الايام « شمس الحقائق » وقيمة اشتراكها ليرة عثمانية في السنة

الاتحاد العثماني

« جريدة يومية سياسية ادبية اجتماعية عمرانية » يصدرها في مدينة بيروت صديقنا الشيخ احمد حسن طباره من مشهوري أرباب صناعة القلم، وهي من مثليات الجرائد الراقية في سورية، وقيمة اشتراكها اربعة ريالات في بيروت وليرة عثمانية في سائر الجهات

كلمة الحق

جريدة عربية تصدر في الاستانة ثلاث مرات في كل اسبوع، انشأها فريق من الكتاب وعهدوا في رياسة تحريرها الى ج. حرفوش، وقيمة اشتراكها ٢٥ فرنكا في مصر والبلاد الخارجية وأربعة ريالات في الاستانة

اوقيانوس

جريدة فارسية تصدر في طهران تحت مراقبة ميرزا عبد الرحيم الهي وقيمة اشتراكها ١٥ فرنكا

الحجاز

هي جريدة الحكومة الرسمية، تصدر باللغتين التركية والعربية، ولقد سررنا بانشائها سرورا عظيما لانها أول جريدة أنشئت في أم القرى مكة المكرمة، وقيمة اشتراكها ١٥ فرنكا في الخارج

الطلبة

« جريدة عمومية تصدر مرة في كل اسبوع » مديرها عبد الحميد افندي حمدي وقيمة اشتراكها ٥٠ قرشا في مصر

الرغائب

« جريدة عثمانية علمية ادبية سياسية تجارية أسبوعية » لمديرها ومحررها حكمت بك شريف من مشهوري الكتاب في طرابلس الشام، وقيمة اشتراكها ريالان في طرابلس و١٥ فرنكا في الخارج

المقتبس

« جريدة يومية سياسية اقتصادية اجتماعية » لمنشئها ومديرها صديقنا محمد افندي كردعلي

الكاتب المشهور ، والمقتبس من الجرائد الممتازة بتحري الصدق والتزام النصح، والبعد عن سخيف القول ورذيلة التملق، وهي تصدر في دمشق الشام وقيمة اشتراكها اربعة ريالات ثمة و ٢٥ فرنكا في الخارج

المحروسة

« جريدة يومية سياسية علمية ادبية تجارية » والمحروسة من الجرائد القديمة التي أبطلت منذ زمن فأعاد اصدارها في مصر الياس افندي زيادة، وعهد في رياسة تحريرها الى الاستاذ ابراهيم افندي الحوراني من مشهوري علماء سورية ، وقيمة اشتراكها مئة وخمسون قرشا صاغا في السنة

باب الأخبار والآراء

جواب مجلس المبعوثان (*

﴿ عن خطاب السلطان ﴾

في افتتاح مجلس المبعوثان

ياصاحب الشوكة :

ان ادوار الفتور التي حدثت على أثر أدوار الفتوحات العثمانية وتوالي ظهور الغوائل الخارجية من جهة وسوء الاستعمالات الداخلية التي هي أشد تأثيراً في التخريب من جهة أخرى - كانت نتيجتها استياء جميع العناصر العثمانية، وكان من ذلك ان والدكم المعظم قد وضع خط (كلخانه الهمايوني) الضامن للحقوق الشخصية، والقاضي بالمساواة بين جميع العناصر العثمانية المختلفة، وبهذه الوسيلة قد اكتسبت الدولة العثمانية حياة جديدة ملائمة للحال العصرية

*) نشرنا في (ص ٨٧٩) من الجزء الماضي خطاب السلطان في افتتاح مجلس المبعوثان ، واننا ننشر الآن جواب مجلس المبعوثان وجواب مجلس الاعيان عنه

بيد انه لما كان من اللازم تأمين الحقوق البشرية وضمانها بصورة راسخة ثابتة وكان من الضروري - صيانة لهذه الضمانة - تبديل شكل الحكومة القديم وقبول الاصول الدستورية المستندة على حكم الامة الاصلي - صدرت في زمن جلوسكم السعيد ارادتكم السنية بوضع القانون الاساسي ونشره وفتح مجلس النواب إجابة لآمال خواص الامة التي هي خلاصة آمال الامة كافة

على ان طريقة الشورى هي أصل في ادارة الحكومات وان صور الحكومات التي تغاير هذا الشكل المشروع ناتجة عن تغلب البطل على الحق والاستبداد على العدل بصورة موقتة

ثم انه مع تصريح جلالتكم في الخط السلطاني بان استعداد الامة وأهليتها في ذلك الحين مسلم بهما ومع اعترافكم بان القانون الاساسي وضع موافقا لذلك الاستعداد قام بعض رجال حكومتكم وأحدثوا مشا كل وهمية متناقضة جعلوا بها مستقبل قوة هذه الامة العظيمة عرضة للخطر مدعين انها غير أهل لصورة ولا شكل من الاشكال التي عينها (القانون الاساسي) وعليه تفرق مجلس الامة أيدي سبا !!!

ان أولئك المخادعين الذين خدعوا جلالتكم بالمشكلات الوهمية التي احدثوها لم يكتفوا بالتعدي على احكام القانون الاساسي الذي هو مناط سعادة الامة وحريتها بل قد تجرأوا على بهتان آخر وهو زعمهم عدم استعداد ادمغة الامة لهذا القانون فحسنوا لجلالتكم إرجاء تنفيذه مستخفين بقوة ادراك الامة !

ولكن نشكر الله فان الامة رغما عن المساعي التي بذلها من نيط بهم نشر العلم والمعارف في سبيل تعطيل الادمغة وتغطية العيون قد ادركت بحسب استعدادها الفطري وقابليتها الطبيعية ان هذه الحال ستؤول الى الانقراض وانها إن لم تنل حقوقها السياسية فلا تستطيع ان تحفظ مركزها في عالم السياسة والمدنية وعليه عرضت لجلالتكم الآمال العامة

ونحمد الله على ان جلالتكم قد أدركت كل الادراك الخطر المحدق بالدولة الذي لم يستتر الا عن ابصار الرؤساء ورجال الحكومة ، فعرفتم ما ينتج للدولة والمملكة بسبب اطمئنان الافكار العامة من السعادة في الحال والاستقبال، فأصدرتم

الأمر السلطاني القاضي بالدعوة الى افتتاح مجلس الأمة وإعادة الانتخاب موافقة لاحكام القانون الاساسي بالرغم عن آراء المخالفين لفتحه ، ولذلك فان الامة تشكر لجلالتكم هذا الشعور الذي كان سببا لانقاذ الدولة العثمانية من انقراض محقق وسوقها الى طريق الترقي والسعادة

ولو انكم تغلبتم قبلاً على خداع أرباب الغايات لكانت الاراضي الغامرة الموجودة في اطراف المملكة قد أصبحت في خلال الثلاثين سنة الماضية أراضي عامرة ، ولكنا في ارتقاء وعلاء بدل التدني والانحطاط ، ولما كانت الشرذمة القليلة التي استفادت من الاستبداد فتحت في قلب الامة جرحا كاد يصير قرحا ، ولكان الوطن نال الرفاهة والسعادة من كل الوجوه ، ولكانت الدولة العثمانية استقرت في مركزها السياسي اللائق بها امام الدول منذ زمن مديد

ان الامة العثمانية تشارك جلالتكم في الأسف الذي أظهرتموه بسبب اعلان امارة بلغاريا استقلالها ، وضم النمسا ولايتي البوسنه والهرسك الى املاكها ، وهما الولايتان اللتان كانت تديرهما موقتا بموجب ميثاق دولي ، لان الامة العثمانية كانت في دور انقلابها السعيد تقطع الطرق السياسية بصورة سلمية ، وتربي صميم الآمال لتكون مظهرا لموازرة الدول المتمدنة وأهلا لانعطافها في حياتها الدستورية الجديدة

ان هذه الحوادث السياسية التي هي إرث مشؤم من سيئات الماضي المديد سيبذل مجلسنا النيابي كل الوسائل التي يحفظ بها شرف حقوق الدولة حلها ، وسيقوم بجميع المساعدات اللازمة لمجلس الوكلاء المحرز ثقة الامة والمسئول امام مجلسها النيابي

ان خطة مجلسنا ستكون دائرة على ادامة حسن العلاقات بين الدولة العثمانية وجميع الدول ، وان الامة التي أحدثت في الدولة هذا الانقلاب السلمي الداخلي ستري العالم أجمع بان سياستها الخارجية موءيدة للسلم

وان آمالنا معقودة بان دولتنا سترتقي بفضل خطتها السلمية الى الدرجة التي تليق بدولة عظيمة الشأن امام الهيئة الدولية ، وانها ستكون جديرة بالاستفادة من الحقوق الدولية على وجهها ، كما انها ستكون مرعية الجانب أهلا لمحبة الدول كافة ،

وانا نتوقع أن تنتهي المسائل السياسية الحاضرة على وجه حسن بموآزرة الدول المعظمة التي ثبتت لها خطتنا السلمية ونيتنا السليمة

ان مجلسنا سيبذل الجهد بتنظيم الامور المالية التي هي من أهم المسائل الداخلية، وسيكون رقيباصادقا على الواردات، ومسيطرا غيورا على الصادرات، وسيمنع بتة إعطاء درهم واحد من الخزانة على غير وجهه، كما انه سيمنع أيضا اخذ بارة واحدة من افراد الامة بغير وجه مشروع، مقتحما في هذه السبيل كل المصاعب التي سيلاقيها في امر ضبط الواردات والصادرات، وذلك بسبب النتيجة الاليمة التي انتجها الاسراف والتبذير في الماضي بصورة لم يعهد لها نظير في تاريخ الامة، حتى يتسنى لدولتنا ان تكتسب لقب دولة مقتصدة تدير امورها على القواعد المالية، وترفع عنها لقب دولة سفيهة مبذرة!!

وانا نرى من الامور الهامة الواجبة بذل الجهد بتوطيد الامن وتأييد رفاهة العناصر المختلفة المؤلفة منها دولتنا، وصيانة الحقوق العامة باجراء العدالة مجراها والمحافظة على جريان القضاء بكل استقلال، وفتح المدارس في جميع انحاء المملكة واصلاح حال الموجود منها، وتربية ابناء الوطن تربية وطنية دستورية، وتزييد الوسائل النقلية وفتح الطرق والمعابر لتسهيل نقل الصادرات والواردات، وترقية حال الصناعة والزراعة وتوسيع نطاق التجارة

ومن الضروريات تعزيز القوتين البرية والبحرية لتكونا بدرجة مناسبة لموقعنا الجغرافي، وليتسنى لنا بهما المحافظة على حقوقنا المشروعة وحكومتنا المقيدة، لا للتعدي على حقوق الغير

ولهذه الامور الحيوية المذكورة سنبذل الجهد بتدقيق التقارير التي قدمت من الحكومة لمجلسنا ونضع القوانين الموافقة لبلادنا وأمتنا

وانا مع الشكر لجلالتكم على عزمكم القطعي الثابت على ادارة المملكة بموجب احكام القانون الاساسي الكافل الحقيقي لسعادة الامة نؤكد لجلالتكم بان عزم الامة الحقيقي على صيانة القانون الاساسي ثابت راسخ لا تزعزعه اية قوة مهما عظمت، كما انا نعرض لجلالتكم ما خالج افئدتنا من الابتهاج والسرور برؤية شخصكم الكريم ماثلا امام نواب الامة مما جاء دليلا على رفع الحواجز والحوائل بينكم و بين الامة

ان قلبنا لا يشعر بغير محبة الأمة والوطن ، وكل آمالنا الاشتغال لخير المُلك والامة، ورائدنا في ذلك مصباح المساواة والاتحاد، وغايتنا الحق والعدل، وقد عاهدنا ثلاثين مليونا من العالم على المحافظة على حقوقهم ولا نخاف في القيام بعهد وكالتنا غير توبيخ الوجدان وخوف الرحمن ومن جعل الحق وجهته فالله يعينه ويؤيده

* * *

جواب مجلس الاعيان

يا سلطاننا

كانت اعضاء الاعيان كلها آذانا مصغية وقلو با واعية لذلك الخطاب الذي فهم به يوم افتتاح مجلس الأمة المؤلف من الاعيان والمبعوثين

انقضى ذلك الزمن الذي أصيبت فيه الحكومة بادواء الخلل فزالت بزواله تلك البرازخ التي كانت حائلة دون اختلاط السلطان بالشعب وتوثيق الروابط بينهما ، وكانت تلك الحوائل لاغراض شخصية ، فالشعب اليوم يرى نفسه مغبوطا برؤية سلطانه وسماع خطابه بواسطة المبعوثين والاعيان ، ذلك الخطاب الذي ضمن فيه الدستور فلنا الشرف ان نرفع لجلالتكم واجب الشكر الصادر عن هذا الامر السارّ

والحكومة الشورية تقوم على هذا الأس المتين الكافل لجميع الحقوق وليس هناك ضامن لتثبيت السلطة العليا وتنزيهها عن التبعة الاحفظ ذلك الاساس المتين

لذلك تحقق ذلك العزم الوارد في الخطاب والموجه الى الشعب والعالم بأسره وهو الاشارة الى حفظ القانون الاساسي بالميثاق البات ، وانا نقابل ذلك بالحمد والثناء الجميل

ان ما ورد في الخطاب السلطاني من الامل في بذل الهمة والمساعي لانجاح المداولات بين الدول الموقعة على عهدة برلين بشأن البوسنه والهرسك والبلغار — ذلك كله — من مهات السلطة التنفيذية ، ولنا الامل الوطيد بقيام الوزارة خير قيام بمهامها ، وانا نضيف الى ذلك الامل النظر في مسألة كريد

نحن في حاجة عظيمة الى الثقة بنا ولا يتم لنا ذلك إلا بنجاح حقيقي في النظام الاداري والعسكري، و يعوزنا بذل المساعي العظيمة لتحفظ موآزرة الحكومات ولتكون لنا مدنية صحيحة ثابتة

إن المساواة بين الافراد والعدل بين أفراد الامة وجماعاتها وتعليم الشعب وتهذيبه حسب حاجات الزمان على نمط الشعوب المتمدنة والاعتماد المالي الصحيح وضمانة حال البلاد من حيث الاقتصاد وتعزيز القوة العسكرية — كل ذلك من الامور الضرورية التي لا تقبل التسويف والتأجيل

وان ثقتنا كلها موضوعة في مجلس الامة (المبعوثان) وآمالنا بمساعيهم الحكيمة محققة ، وسنرى منهم مشروعات وقوانين تضمن لنا وتسهل بلوغ الاماني المشار اليها ، و بذلك يكون للأمة والبلاد مستقبل زاهر سليم من كل شائبة

ومن الضروري ألاّ تقصر السلطة التشريعية التي هي مؤلفة من الاعيان والمبعوثين في العناية بالمسائل الحقيقية لوضع قوانين تسير البلاد بسببها في سبيل التقدم والنجاح ، ولا ريب عندنا بان مساعي الوزارة التي يناط بها التنفيذ ستنضم الى هذه المساعي ، وحينئذ ننال السعادة التامة التي نطلبها ، وهي ذلك الغرض الذي يرمي اليه المصلحون من ابناء الوطن

وانا نختم عريضتنا هذه بتكرار الشكر لجلالتكم لتعهدكم وعزمكم الأكيد على حفظ شكل الحكومة الشورية ، ونؤكد لجلالتكم أن مجلس الاعيان يبذل جهده في قيامه بواجب حفظ الدستور الذي يرى حفظه من أقدس الواجبات

وانا نعرض لجلالتكم بان مجلس الاعيان يقوم نحوكم ونحو الأمة بكل مايجب عليه من الإخلاص التام



رحلة صاحب المنار

﴿ في سوريا ﴾

٣

دمشق الشام

عدت في ٢٣ رمضان الى بيروت وفاء بوعدي لأصدقائي والوالي فأقمت فيها أربعة أيام كنت ألقي في كل يوم منها درسادينيا بعد العصر في أحد المساجد ، وفي اليوم الاخير استبدلت بالدرس خطبة سياسية في حظيرة الموقع العسكري إجابة لطلب الكثيرين

وفي صبيحة الخميس ٢٧ منه ركبت القطار الحديدي الى دمشق الشام وهو قطار رديء، الدرجة الاولى منه دون الدرجة الثانية من القطار الذي بين رياق وحمص؛ فبلغنا محطة دمشق قبيل المغرب فاذا بانتظارنا صديقنا الكريم عثمان بك العظم وجمهور ممن نعرف ومن لم نعرف من المحبين العلماء والوجهاء ، نخص منهم بالذكر أعلم علماء الشام الاستاذ الاكبر بركة الوقت بقية السلف الصالح الشيخ عبد الرزاق البيطار والاستاذ العامل المجد الذي يقتل وقته كله في التدريس والتصنيف وتصحيح الكتب النافعة الشيخ جمال الدين القاسمي أدام الله النفع بعلمهما وعملهما

نزلنا في دار عثمان بك فأقبل للسلام علينا فيها كثير من الوجهاء، فرأينا من أدبهم وحسن محاضرتهم ما ينطبق على ما هو مشهور عنهم ، وسمعنا منهم مذ الليلة الأولى أخباراً سيئة عن جمعية الإخاء العربي التي أسست في الاستانة فقال بعضهم انها اسست بإيعاز من السلطان لتكون عضدا له وعونا على جمعية الاتحاد والترقي، وقال آخرون انها «ضد الترك» وقالوا ان ندره بك المطران جاء الشام ليدعو الى هذه الجمعية ،وهو يذم الترك ويدعو الناس الى العصبية الجنسية العربية وينفر من جمعية الاتحاد والترقي . وذكروا ان سيرة بعض أعضاء هذه الجمعية غير محمودة وان بعض

افرادها يحتقرون وجهاء البلد ويفطرون في رمضان جهرا وان هذا مما يمهد السبيل لندره المطران ويجعل دسائسه مقبولة عند كثيرين

هذا مخلص ماسمعته من أكثر من واحد وكنت أبين لهم ولغيرهم ان تنفير العرب من الترك مفسدة من أضر المفاسد وانا في أشد الحاجة الى الاتحاد بالترك والاخلاص لهم لان مصلحتنا ومصلحتهم في ذلك ، على اننا أحوج إليهم منهم الينا فمن يسعى الى التفرقة بيننا وبينهم فهو عدو لنا ولهم فان كان سعيه لهواه فهو شر الشياطين وان كان سعيه لغيره فهو شر الاجراء الخائنين ولا عجب فى صدور ذلك من بني المطران المفسدين

نعم يجب على العرب ان لاينسوا فى اتحادهم بالترك انفسهم ويتكلوا على غيرهم بل يجب عليهم مباراة اخوانهم في التربية التي تقتضيها حال العصر وتحصيل العلوم والفنون التي عليها مدار العمران ليكونوا يدا واحدة فى إحياء الدولة وليقدروا على ترقية شأن بلادهم واستخراج خيراتها العظيمة ثم ليكونوا أهلا لادارتها بأنفسهم اذا غلب فى المستقبل حزب صباح الدين افندي ابن أخت السلطان على غيره من الاحزاب التي ينتظر ان تكون فى الدولة وهو أي رأي صباح الدين ان تكون كل ولاية من ولايات الدولة مستقلة في ادارتها الداخلية ويعبر عن ذلك بعــدم المركزية (Décentralisation) ويرى بعض علماء السياسة انه لابد في المستقبل من استقلال كل جنس بنفسه ويروى هذا الرأي عن نابليون واذا صح هذا في المستقبل البعيد وكان الجنس العربي غير أهل للادارة التي تقتضيها حال مدنية ذلك العصر الذى سيكون أرقى من عصرنا هذا — وان قرب — وغير أهل لمشاركة سائر الامم في السياسة العامة والحقوق المتبادلة بين الاجناس على أصول المساواة فكيف تكون حاله يومئذ ؟ ألا نكون (لاقدر الله) تحت وصاية غيرنا من الاجناس المرتقية في العلوم والاعمال ؟ومن هو الجنس الذي يتولى هذه الوصاية ؟وكيف تكون سيرته فيها ؟يجب علينا ان نفكر في حالنا الحاضرة وفي مستقبلنا القريب ومستقبلنا البعيد وان نعلم ان حسن المستقبل متوقف على ماقبله والنهاية أثر البداية ويجب ان يكون الاساس

الذي نبني عليه في حاضرنا ومستقبلنا الاخلاص لدولتنا والاتحاد بالترك وسائر العناصر العثمانية مادامت هذه العناصر متحدة بالدولة مخلصة لها وان نكون الآن من أشد الاعوان لجمعية الاتحاد والترقي على بث روح الدستور في جميع الطبقات، ورقباء على الحكومة في سيرها وأعمالها حتى ترسخ فيها الديموقراطية وتسير بعد اجتماع المبعوثان على الاصول الدستورية

هذا ما كنت أبثه من الافكار في مثل هذا المقام واستطرد منه الى بيان وجوب العناية بتأسيس المدارس لنشر التعليم الاهلي في جميع طبقات الاهالي وان ذلك يتوقف على تأسيس الجمعيات الخيرية في كل لواء من الألوية كل ولاية لاجل تعليم أولاد الفقراء بغير أجرة وتعليم أولاد الاغنياء بالاجرة . ثم انوه بالتعليم العالي والرحلة الى حيث توجد الى أن يوجد في كل ولاية مدارس عالية يستغنى بها عن الرحلة وهذا ما كنت أقوله في كل بلد

ومما سرني بدمشق وأهلها سرورا عظيما حياة كثير من الصناعات فيها . وكيف لاينشرح صدري لذلك وقد رأيت ذلك الجامع الفخم الذى كان هو الأثر العظيم في هذه العاصمة لأول دولة عربية تأسست فيها فدمره عصر الظلم والاستبداد بالنار فاعاده أهل دمشق الى ما كان عليه لاينقصه الا ما كان فيه أولاً من زينة الفسيفساء التي يعجزعنها حتى الافرنج من أهل هذا العصر، ثم انني رأيت معظم أثاث البيوت ورياشها من صنع أهل البلد حتى في بيوت الكبراء كبيت عبدالرحمن باشا اليوسف أمير الحج الذي هو أوسع أهل دمشق ثروة وأعلاهم جاها ومنزلة فقد تأملت أثاث بعض الحجرات ورياشها في داره فلم يقع نظري على شيء فيها من غير صنع الشام الا السجاجيد العجمية حتى إن القناديل الكهربائية النحاسية التي فيها هي من صنع الشام فلنا ان نفتخر بصناعات الشام في النسج والحفر والبناء والنجارة وغير ذلك وان نجتهد في توسيع دائرتها بالطرق الحديثة

رغب إليّ بعض الفضلاء أن أقرأ درسا في الجامع الأموي كما فعلت في بيروت وطرابلس فأجبتهم الى ذلك لرميهم فيه عن قوس عقيدتي وموافقتهم لرغبتي واستحسنت ان يكون ذلك بعد صلاة الجمعة فقيل ان هذا هو الوقت الذي يخم

فيه المدرسون الرسميون دروسهم فيرونك فيه مزاحما لهم فيثقل عليهم فالأولى ان يكون درسك بعد العصر، فوافقتهم على ذلك . وقد صلينا الجمعة في الجامع الأموي ورجونا ان نسمع فيه خطبة تناسب في حسنها المعنوى ما في ذلك الجامع من الحسن الحسي ولكن خاب رجاؤنا فسمعنا ما ملته اسماعنا من عهد الحداثة وهو مدح رمضان وتقرير العامة بحديث العتق فيه الذي بينا في المنار من قبل ما قيل في وضعه. وشهدنا بعد الصلاة دروس المدرسين فجلسنا زهاء ثلث ساعة في درس الكزبري الذي حضره الوالي والمشير حسب العادة المتبعة وخلق كثير . ووقفنا هنيهة على درس رجل يقال له الشيخ صالح التونسي يحضره زهاء ١٥ أو ٢٠ رجلا ثم على درس الشيخ بدر الدين فاذا هو رجل يسرد الأحاديث الشريفة بأسانيدها بالضبط الصحيح ويورد في معناها كل ما قاله بعض العلماء في شرحها أوجله وينتقل من المسألة الى ما يناسبها من غير تلعثم ولا مكث

درسنا الاول في الاموي

ثم خرجنا من المسجد وعدنا اليه في وقت العصر وبعد صلاة الفريضة تلا بعض القراء آيات من الكتاب العزيز فجعلتها موضوع الدرس واستطردت منها إلى غيرها من الآيات الواردة في صفات المؤمنين وما وعدهم الله تعالى به في الدنيا والآخرة مع تنبيه الأذهان إلى عرض أنفسنا في هذا العصر على هذه الآيات لنعلم هل هي منطبقة علينا أم لا . . . وذكرت ما يطلب من المسلمين في هذا العصر ليحافظوا على دينهم الذي يرشدهم الى ما فيه سعادة الدارين ويعدهم بذلك جزاء على نصره والقيام بحقوقه وكون ذلك يتوقف في هذا العصر على العلوم والفنون التي يرتقي بها الاجتماع البشري وتعتز بها الأمة ويرفع شأن الدولة الا وهي العلوم والفنون الرياضية والطبيعية والاقتصادية . ومما قلته وكررته : انني أرفع صوتي قائلا أننا لا تقوم لنا قائمة إلا بالاخذ بهذه العلوم والفنون التي يتوقف عليها امتثال قوله تعالى « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » فاننا نستطيع ان ننشئ المدرعات البحرية ونعمل المدافع والبنادق وقذائف الديناميت لأجل حماية حقيقتنا وتعزيز دولتنا، وأن نعمل السكك الحديدية وغيرها من الامور التي ترقي مدنيتنا وتحفظ ثروتنا،

وكل ذلك يتوقف على العلوم الرياضية والطبيعية التي لا حياة لأمة في هذا العصر بدونها ؛ إن علماءنا السابقين الذين كانوا يذمون العلوم الطبيعية وينهون عنها لم يكونوا يُعنون بها إلا تلك النظريات اليونانية التي تبحث في الالهيات بحثا يخالف أصول الدين وقواعده، والعلوم الطبيعية في هذا العصر مباينة لتلك النظريات ومناقضة لها لأن أساسها التجربة والاختبار والعمل فمن فروعها علم الكهرباء الذي ترون من آثاره النور الذي يتألق في مسجدكم هذا ليلا ، والمركبات التي تجري في شوارعكم وأسواقكم ؛ ومنه علم البخار الذي تسير به قطارات السكة الحجازية من بلدكم الى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم . فهل يمكن ان يكون هذا العلم معارضا للدين ؟ كلا انه لا يضر الدين وأهله ولكن يمكن أن يستخدم لحفظ الدين ورفعة شأن أهله فكل من يصدُّ المسلمين عنه فهو إما صديق جاهل بحقيقة هذا العلم وفائدته وإما عدو غاشٌّ للمسلمين

ثم بينت لهم ان الاسلام على جمعه بين مصالح الدنيا والآخرة دين يسر لا عسر ولا حرج فيه وانه يمكن للمسلمين ان يجمعوا بينه وبين جميع العلوم والفنون العصرية التي نوهت بفائدتها اذا احسنوا التربية الدينية وأصلحوا طرق التعليم وان ذلك انما يكون بانشاء المدارس الاهلية ، وهذه المدارس لا يقوم بها حق القيام إلا الجمعيات فالذي يجب ان يبدأ به أهل بلادنا في هذا العصر هو تأسيس الجمعيات التي تنشر التعليم في جميع طبقات الامة وذكرت لهم موقع دمشق ومكانها من جزيرة العرب وما ينبغي من السعي في جعلها ينبوعا للمعارف والمدنية فيها ثم قلت في آخر الدرس انه يمكنني ان أبين لكم في مجلس آخر كيف يمكن الجمع بين الاسلام تربية وتعليما و بين تحصيل العلوم العصرية الكثيرة التي تقوى بها الامة وتعتز الدولة ان شئتم فأظهر الرغبة في ذلك الجمهور . وقد حضر الدرس عدد كثير من الناس يبلغ المئات على ما قدره بعض الحاضرين . ومنهم العلماء الرسميون الذين اقبلوا عليَّ بعد الدرس بالتحية والثناء واظهار الاعجاب بالدرس والدعاء بان ينفع الله بي و به، والوجهاء كأحمد باشا ومحمد باشا العظم وعلي باشا الامير وعبد الرحمن باشا اليوسف وشكروني على ما أبديته وألحوا علي بأن أعيده في اليوم الثاني

درسنا الثاني في الاموي والحادثة المشهورة

تحدث الناس في الدرس الاول في ليلتهم تلك وانه على غير ما يعهدون في الموضوع وهو الجمع بين مصالح الدنيا والآخرة والاستناد على آي القرآن — وفي الأداء وهو أسلوب الخطابة ، فرغّب الناس بعضهم بعضا في حضور الدرس الثاني فلم نكد نصلي العصر في اليوم الثاني وننفتل الا وقد تحلق الناس في مكان الدرس الأول (تحت القبة) وصار يلزّ ويزحم بعضهم بعضا فلما اتسعت مساحة القاعدين طفق الناس يتحلقون حولهم وقوفاً ثم ازدحموا فصاروا كالقاعدين على غير نظام حتى صاروا يقدرون بالألوف فرأى بعض المهتمين بأمر الدرس أنه لا يمكن إسماعهم إلا بالقعود على شيء مرتفع فأحضروا الكرسيّ الذي يقرأ عليه خطباء المسجد قصة المولد ونحوها في المواسم المحدثة في الاسلام فصعدت اليه وشرعت في الدرس بعد ذكر الله والثناء عليه والصلاة والسلام على البشير النذير جزاه الله عنا أفضل ماجازى نبيا عن أمته

كان موضوع الدرس تعريف الدين وكونه هادياً الى ما فيه سعادة الدنيا والآخرة وكون الاسلام عاما لجميع البشر موافقا لمصالحهم في كل زمان ومكان وبيان إمكان الجمع بين هدايته وبين جميع العلوم والفنون التي عليها مدار العمران في هذا العصر اذا صلحت طريقة التربية والتعليم

قلت ان القاعدة التي ينبغي لنا ان نبني عليها أساس اهتدائنا بالاسلام هي قول الامام مالك بن أنس رضي الله عنه « لا يصلح آخر هذه الأمة الا بما صلح به أولها » فيجب علينا ان نرجع الى سيرة الصدر الأول فننظر كيف تلقى الصحابة عليهم الرضوان دينهم عن النبي عليه الصلاة والسلام وكيف كانت سيرتهم في العمل به وكيف تلقى عنهم التابعون فنهتدي بهديهم في ذلك

ثم بينت ان ما جاء به الاسلام ينقسم الى ثلاثة اقسام : قسم العقائد وقسم الأخلاق والآداب وقسم الأعمال من العبادات والمعاملات ، وشرعت في بيان طريقة التعليم التي ينبغي سلوكها لاحياء الاسلام في زمن قليل لا نحتاج فيه إلى مدارسة هذه الكتب الكثيرة في الكلام والفقه وغيرها التي لا يتفق تحصيلها في عشرات من السنين الا للعدد القليل من المنقطعين لتحصيلها وهؤلاء المنقطعون عشر

معشار الامة . فاذا كان الدين لا يؤخذ الا من هذه الكتب التي اختارها علماؤنا للتعليم العام في هذه القرون الأخيرة فكيف السبيل إلى تعليم الدين لجميع المسلمين؟ وههنا قلت كم عدد مسلمي هذا البلد ؟ فقال بعضهم مئتا ألف أو يزيدون فقلت هل يوجد فيهم ألفا عالم فهم كتب الكلام وكتب الفقه المتداولة ؟ قيل ولا ألف . فقلت اذا كان هذا مبلغ تعلم الدين في مدينة تعد من أعظم أمصار الاسلام في الارض فكيف يكون حال مسلمي القرى وأهل البوادي ومثل مسلمي الصين ؟

ثم شرعت في بيان الطريقة السهلة لتعميم تعليم العقائد فقلت ما معناه : ان كتب الكلام المشهورة لم توضع لأجل تلقين المسلمين ما يجب عليهم اعتقاده وإنما وضعت لرد شبهات الفلاسفة والمبتدعة عن العقائد الاسلامية والاحتجاج على حقيتها وقد انقرض أولئك الفلاسفة والمبتدعة الذين عُني المتكلمون باقامة الحجة عليهم! وظهر بطلان مذاهبهم الا قليلا من مسائلها وحدثت لفلاسفة هذا العصر ومقلدتهم شبهات جديدة تولدت من الفلسفة الجديدة يجب أن يُعنى متكلمو هذا العصر بكشفها ولا ينبغي ان يذكر شيء منها العامة المسلمين ولا لتلاميذ المدارس الابتدائية عند تلقينهم الدين وإنما يخص بذلك طلاب العلوم العالية الذين يدرسون الفلسفة وعلم الكلام

المسلم لا يحتاج الى الاستدلال على وجود الله تعالى بالطريقة الكلامية وان الدلائل التي تبنى على فرض خلاف المطلوب قد يكون إثمها أكبر من نفعها لأنها تثير الشبهات وتوقع كثيرا من السامعين في الشك وانما الطريقة المثلى لذلك طريقة القرآن الحكيم وهي عرض محاسن الخليقة واسرارها على العقل وتذكيره بحكمة مبدعها البالغة وقدرته العظيمة وعلمه الواسع وتفرده بالخلق والتكوين والرحمة والاحسان (وذكرنا بعض الآيات في ذلك)

لماذا نقول للمسلم الخالي الذهن من الشبهات والشكوك لو لم يكن للعالم إله للزم الدور أو التسلسل وكل منهما باطل فما أدى اليه وهو عدم وجود الإله باطل — فثبت نقيضه وهو ان للعالم إلها — ثم نحاول ان نفهمه معنى الدور والتسلسل والبرهان على بطلانهما وما أصعبه مركبا وأبعده مطلبا! وقد رأينا كثيرين من المتصدرين لتدريس علم الكلام يذكرون ما كتب من الاستدلال على بطلان الدور والتسلسل وهم لا يفهمون ما يقولون

ان الايمان بوجود واجب جل شأنه عام في البشر باديهم وحاضرهم حتى قال كثير من العلماء انه فطري مودع في النفوس بأصل الخلقة فأكثر علماء أوربا وفلاسفتها يؤمنون بذلك وكذا المؤمنون الذين ارتقت وثنيتهم كالبراهمة والبوذية حتى اليوم ومشركي العرب في زمن البعثة ٠ومن شذ من البشر فأنكروجودالبارىء تعالى لشبهة أثارتها في نفسه تقاليد دينه أو نظريات فكره الضعيفةفهولايمنع ان يكون لهذا الاعتقاد أصل في الفطرة البشرية فقد قال الاستاذ الامام رحمه الله تعالى : ان الذين ينكرون وجود الله تعالى قليلون في مجموع البشر فهم مرضى الارواح —أوقال العقول — من هذه الجهة وان صحت أفكارهم من جهة أو جهات أخرى ومرض الروح والعقل عرض يطرأ على بعض الناس كرض البدن، فرض الجسدمعها كثرلا يعد هوالاصل في المزاج وكذلك مرض العقل والروح لا يعدفي الاصل وأن كثر المرضى به

قلنا ان أكثر البشر يؤمنون بوجودالله تعالى ونقول ان الذين يؤمنون بالله تعالى يؤمنون بعلمه وقدرته وارادته ويعظمونه ويقدسونه وقلما أخطأ الكفار في غير وحدانية الالوهية والربوبية من مسائل الإلهيات ٠فأما وحدانية الالوهية أي العبادة فهي عبادة غير الله تعالى بالدعاء ونحوه، وأماوحدانية الربوبيةفهي اتخاذ بعض البشر شارعين يشرعون للناس من الدين مالم يأذن به الله ٠وقد بين الله لنا ذلك في كتابه الحكيم فقال في بيان عقائد مشركي العرب (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم)وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم (قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون ٭سيقولون لله قل أفلا تذكرون ٭قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم ٭سيقولون لله قل أفلا تتقون ٭ قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون٭ سيقولون لله قل فأنى تسحرون٭ مااتخذ الله من ولد وما كان معه من إله اذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون)فقد اثبت لهم الايمان بوجود الله وانه هوالخالق الذي بيده ملكوت كل شيء وقال فيهم مع ذلك (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) فما هو شركهم؟هو مابينه في آيات اخرى كقوله عز وجل (والذين اتخذوا من دونه أولياء: مانعبدهم الا ليقربونا اليه زلفى ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون، ان الله

لايهدي من هو كاذب كفار)وقوله سبحانه (و يعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله "قل اتنبؤن الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض! سبحانه وتعالى عما يشركون)وقال في أهل الكتاب(اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أر بابا من دون الله) وقد روي في الصحيح ان عدي بن حاتم اسلم وكان نصرانيا فلما سمع هذه الآيات قال للنبي صلى الله عليه وسلم انهم لا يعبدونهم فقال مامعناه: اليس يحلون لهم ويحرمون عليهم فيتبعونهم؟ قال نعم قال فذاك . فهذا وماقبله هو الذي فتن به الوثنيون والذي طرأ على أهل الكتاب وقد بينه القرآن الكريم تبيينا

قلت كل هذا تمهيدا لبيان ما يجب اتباعه من تلقين المسلمين عقائد دينهم على طريقه القرآن المثلى وأردت ان أشرع في المقصد فاذا أنا برجل مغربي قد اخترق جمهور الواقفين حتى انتهى الى دائرة القاعدين وصاح ياإخواننا المسلمين اسمعوالي كلمتين وشرع في الكلام فاضطرب الناس وكثر اللغط وقام كثير من القاعدين فرغبت اليهم في السكوت والاستماع له .فأما احدى كلمتيه فكانت في مشروعية زيارة القبور والتوسل بالصالحين الميتين الى الله تعالى ليقربوهم اليه ! ويقضوا حوائجهم هذه! واعتقاد كرامات الاولياء والتحذير ممن ينكرون ذلك ويضلون به الناس كما فعلت الوهابية ' ثم ذكر ماهو شائع بين الناس من فتنة الوهابية ومحاربة السلطان وأمير مصر لهم . وأما الكلمة الثانية ففي وجوب تقليد الائمة المجتهدين في الدين والثناء عليهم وكون العمل بما في كتب الفقه هو عين العمل بالكتاب والسنة !. وكان يقول مامثاله : ياإخواننا هل الذي يتوسل الى الله تعالى بالاولياء يكون مشركا بالله ؟ هل الذي يحب الصالحين و يعظمهم يكون مشركا بالله ؟هل الذي يؤمن بكراماتهم يكون مشركا بالله ؟هل الذي يعظم الأئمة و يعمل بمذاهبهم يكون مشركا بالله ؟!!!

فلما أتم كلامه قلت أيها الاخوان: ان من يسمع كلام هذا الشيخ ممن حضر في اثناء كلامه يظن ان ما قاله في درسي ليس الا ردا عليّ وانني كنت أتكلم في هذه المسائل بخلاف ما قاله ومن حضر المجلس من أوله يعلم انني لم أتعرض لهذه المسائل بنفي ولا إثبات وليست هي من موضوع كلامي فان الذي قصدت اليه في هذا الدرس ووعدت به أمس هو بيان طريقة تعميم تعليم الدين لجميع المسلمين

بأسلوب سهل وزمن قليل يبعث فيهم روح الدين ولا يشغلهم عما هم في اشد الحاجة اليه من أمر الدنيا وقدأشرت فيما قلت الى أنهذه الطريقة هي طريقة القرآن الحكيم وسنة النبي عليه الصلاة والسلام في تلقين الدين لا طريقة المتكلمين وقدسبقني الى ذلك حجة الاسلام الغزّالي فقال بمثل ما قلته في كتابه (الجام العوام عن علم الكلام) وغيره ، فصرح بأن كتب الكلام وضعت لحماية العقيدة من هجمات المخالفين ، لا لإفادتها وتقريرها لعامة المسلمين ، وان طريقة القرآن هي التي يجب الاعتماد عليها في التعليم ، وكل ما قلته تمهيد لبيان ذلك بعبارة ممحصة قريبة من الأذهان . وما خطر في بالى أن أحشر في درسي شيئا من هذه المسائل التي قطع بها الرجل علي كلامي قبل ان أصل الى المقصد منه. وكأني بأناس يقولون الكذب ويتجرمون عليَّ ويأخذون من كلامه تهما يلصقونها بي فحسبي ان يعلم هذا الجمهور العظيم الذي سمع كلامي عني ويسمعوا مني بأنني ما أنكرت ولا أنكر زيارة القبور لاجل الاعتبار وتذكر الآخرة والموت كما ورد في حديث الإذن بها بعد النهي عنها وانني أزورها بالفعل ، وأحب الصالحين ولا أنكر مالهم من الكرامة عند الله تعالى فان من لايحب الصالحين يكون أشقى الاشقياء ، وأعظم الائمة المجتهدين واعتقد انهم كانوا على هدى واخلاص في خدمة الدين وان من التوفيق والسعادة اتباعهم في الاهتداء بالكتاب والسنة . ثم صعد الكرسي الشيخ عبد القادر الخطيب وأراد ان يتكلم فأنزله عثمان بك العظم عن الكرسي وصده عن التكلم ووقف عليه وقال ما معناه : أيها الاخوان انه لا ينبغي للعوام الخوض فيما يختلف فيه العلماء فانصرفوا الى شأنكم ومن كان من العلماء يريد مناظرة الاستاذ في هذه المسائل أو غيرها فليتفضل بعد العشاء الى منزلي . ثم نزل وقال لي تفضل فنزلت ومشينا معا فمشي معنا جمهور عظيم من الحاضرين وسمعت بعض من بجانبي يقولون ما معناه لا تخف ولا تحزن فلا قيمة لهذا الرجل ولا تأثير لكلامه و بعضهم يقول هلمَّ واسرع . وكان اللغط والضوضاء على أشدهما حتى خرجنا من باب صحن المسجد وحينئذ رغب اليَّ الشيخ أديب تقي الدين ان أدخل داره وهي بقرب المسجد

للاستراحة وردّ الزيارة (فقد كان زارني في دار عثمان بك) فأجبته الى ذلك فلما دخلت داره طفق يقبل رأسي ويثني علي ويطري درسي ويهون عليَّ ما جرى ويحلف الايمان بانني ما قلت الا الحق وان ما عورضت به ليس بشيء . فعجبت من ذلك كله لأنني لم أكن أعـد ما جرى في الجامع من قطع الدرس عليَّ أمراً عظيما ولا مصابا يعزَّى عنه . وظننت ان السبب في كل ما رأيت من لهف الناس وعنايتهم بتسليتي هو عدم تعودهم في تلك المدينة مثل ما رأوا من ذلك الافتيات. وخطر في بالي ان الباعث لذلك الرجل على ما فعـل هو حب الظهور والشهرة أو سوء الظن والظِنّة فانه هو الرجل الذي ذكرت انني رأيته يقرأ درسا لا يحضره الا قليل من الناس وقد علمت بعد ذلك ان اسمه الشيخ صالح وأنه داعية لأبي الهدي الصيادي أرسله الى دمشق ليبث دسائسه فيها

قبيل المغرب من ذلك اليوم ذهبت مع عثمان بك الى دار عبـد الرحمن باشا اليوسف لاننا كنا مدعوين للفطر عنده فلما كنا على المائدة جاء أسعد بك يكباشي أركان حرب وهو وكيل الشرطة في دمشق وأحد اعضاء جمعيـة الاتحاد والترقي الذين يشكو منهم أكثر وجهاء دمشق فجلس معنا وأخبرنا انه قبض على الشيخ صالح وأودعه في السجن . فقال له عثمان بك أخطأت في هذا العمل فيجب ان نذهب بعد الفطور لأجل إخراجه لأن ماحصل يجب ان يقف عند الحد الذي وصل اليه . وكان الامر كذلك فقد ذهب أسعد بك بين المغرب والعشاء لاجل اطلاق الشيخ صالح على ما فهمنا و بعد صلاة العشاء في بيت عبد الرحمن باشا خرجت أنا وعثمان بك فركب هو مركبته وتبع أسعد بك لينظر ماذا فعل وركبت أنا مركبة أخرى الى دار عثمان بك

ولما عاد عثمان بك أخبرني بأنهـم أخرجوا الشيخ صالحا من الحبس وان فتنة عظيمة أثيرت في الشام فحمل ألوف من الناس السـلاح واحتشدوا في الاسواق والشوارع وذهب جمهور عظيم منهم الى مجلس البلدية وجمهور الى دار الحكومة . قال وهـذا الذي كنت أخشى بادرته في الجامع فأحببت ان تختم الدرس وتخرج ولا تطيل في الرد على الشيخ صالح . قلت له ماهو سبب ذلك فان ماحصـل في الجامع لا يصح ان يكون سببا لحمل السلاح ولا للفتن لانه لا يزيد على اساءة رجل

بقطعه الدرس عليَّ وأنا لا أحب الانتقام وليس لي عصبة تنتقم لي ان أحببت ولا هذا الذنب مما يعاقب عليه بالسلاح وان أدري ألذلك الرجل عصبة قوية عظم عليها أمر حبسه فأرادت ان تنتصر له ؟ وهل يكون الانتصار في الشام دائما مثل هذا ؟ اعني اذا حبس رجل له انصار يطلب انصاره من الحكومة اطلاقه بقوة السلاح!!!؟

قال انني علمت من حال بعض الحاضرين في الدرس ان هناك فتنة مــدبرة يراد إيقاعها في الجامع بأدنى مناسبة أو بخلق مناسبة ولست انت المقصود بها . وانه ليس للشيخ صالح عصبة ولا محبون والذين هيجوا الناس ودفعوهم الى المطالبة باطلاقه لهم بذلك اغراض يتوسلون اليها بكل وسيلة تتيسر لهم لا يهمهم فيها أن يعظم من لا يستحق التعظيم و يؤذى من لا يستحق الايذاء ولاحاجة الى شرحها ولكن أقول بالاجمال إنها تتعلق بانتخاب المبعوثين . ولا أكتم عنك انه لايكاد يوجد أحد في الشام يخرج من بيته بغير ســلاح . قلت اذًا ليس في الشام حرية شخصية تحميها الحكومة فأنا مسافر في الصباح حتما ، ولا أقيم في هذا البلد يوما ، فرضي مني بذلك على كره منه وحرص على ان أقيم عنده أياما أرى فيها معاهد البلد وأعرف أحواله. فهذا ما دار بيني و بينه في الليل ثم نمت طائفة من الليل واستيقظت وقت السحور ولما طلع النهار سافرت من الشام قاصدا رياق

اجتمعت في قطار سكة الحديد ببعض أدباء دمشق وتجارها فسمعت منهم شيئا كثيرا من أخبار الفتنة الظاهرة والفتن الباطنة ، منهم شابان ذكيان من محبي الاصلاح والعلوم العصرية كاشفاني بما في صدورهما وذكرا لي أسماء شبَّان آخرين على مشربهما وقالا انهم يكتمون ميلهم و رأيهم ولا يحبون ان يعرف شيء عنهم . ثم اجتمعت ببعض باشوات الشام في بعلبك فحدثني بما يعــلم من أمر الحادثة ومن أحوال الشام وهو ممن حضر الاجتماع عند الوالي ليــلا . واجتمعت أيضا هناك ببعض أعضاء جمعية الاتحاد والترقي فسمعت منهم انباء وآراء فعلمت من ذلك ومما سمعته في حمص وقرأته من المكتوبات التي بعثها من الشام الى حمص وغيرها جميع ما كان من المكايد والفتن وهذا مجمل ما وصل اليَّ :

اسباب فتنة دمشق

الاصل في ذلك كله امتعاض بعض الوجهاء أصحاب النفوذ من أسعد بك وسليم بك الجزائري كلاهما قائد ألف « بكباشي » من أركان الحرب والدكتور حيدر وكلهم من اعضاء جمعية الاتحاد والترقي ، وكراهتهم لهذه الجمعية لأنها جعلت لهؤلاء منزلة ونفوذا في الشام يعلو نفوذ أولئك الوجهاء المتعضين الذين يرون أنهم سادات الشام وانه يجب أن يكون النفوذ فيها مقصورا عليهم ومحصورا فيهم وخاصا بهم!!.

قهرتهم جمعية الاتحاد بظهورها مؤيدة بالقوة العسكرية ولكنهم لم يتجرءوا على الوقوف في وجهها ومناجزتها جهرا فتربصوا بها الدوائر حتى اذا ما جاء زمن انتخاب المبعوثين ورأوا من ذكرنا من اعضائها يشتغلون بأمره عيل صبرهم ولجأوا الى الكيد وجرأهم عليه نده بك المطران الذي جاء الشام ليرشح نفسه للانتخاب ويستعين عليه بمن يستميلهم الى جمعية الاخاء العربي فانه كان يهون على الناس أمر جمعية الاتحاد والترقي ، ويكبر في نفوسهم شأن جمعية الافتراق والتدلي أي التي تفرق بين الترك والعرب وتنصر الاستبداد وتخذل الدستور . فاندفع أولئك الوجهاء الى الفتنة بقوة وهمة و بثوا دسائسهم في العامة الذين هم اتباع كل ناعق كما قال سيدنا علي كرم الله وجهه حتى دخلت طائفة منهم الجامع الأموي مدججة بالسلاح للتنكيل ببعض المشايخ المدرسين لانه ختم من بعض العوام ورقة يطلب فيها ترشيح مبعوث ولكنه كان يقول لمن يطلب منه الختم اننا نطلب بهذه العريضة ابطال رقص النساء في بعض الملاهي ! ! . ووقعت فتن ومشاغب أخرى اطلق فيها الرصاص وأصيب بعض الناس كما قيل لنا ولا نحب ان نخوض في ذلك

ولكن موقظي الفتن ومثيري الشغب لم يكن لهم سبيل للنيل من أعضاء جمعية الاتحاد والترقي فيما جرى الا بالكلام كقولهم انهم علة اختلال الأمن وحدوث الاضطراب في البلد « رمتني بدائها وانسلت » وانهم يريدون إبطال الدين بتجريئهم الناس على الفطر في نهار رمضان علنا و باحتقارهم لوجهاء البلد وعلمائه ! ! !

هذا ما كانت عليه دمشق عند قدومي اليها كانت تتمخض بالفتن التي يدبر أمرها رجال لا يزيد عددهم على عدد الذين دبروا أمر الصحيفة من قريش وكان

أشدهم افسادا أحد الباشوات الذي يرى انه بعظمة بيته يجب أن يكون صاحب الأمر المطاع في البلد والقول المتبع في حكومتها وأهلها . واستعانوا على كيدهم ببعض أصحاب العمائم الجاهلين الذين جعل لهم الحكم الاستبدادي رياسة دينية علموا انها لا تلبث ان تمحى وتزول في عهد حكومة العدل والشورى

رأني هؤلاء الكائدون تحت قبة الجامع الأموي أبين للناس انهم دخلوا في طور جديد من الحكومة يمكنهم ان يحيوا فيه دينهم علما وعملا واخلاقا وآدابا ، وان يرقوا فيه دنياهم حتى يكونوا فيه من أوفر الامم ثروة وأعلاها جنابا ، ورأوا أن الناس قد قبلوا هذا الارشاد ولهجوا بالثناء عليه ، فقالوا ان هذا السيل الآتي يأتي على ما بنينا من صروح الآمال ، ويجرف ما نضع في طريق الدستور وجمعية الاتحاد والترقي من العقبات ، ولكن الشعب يراه عذبا فراتا ، يطفيء غليلا ويحيي مواتا ، فيجب ان نبادر الى تحويله عن هذه الديار ، قبل ان تروى منه القلوب والافكار ، فأجمعوا أمرهم وهم يمكرون ، وعهدوا الى افراد من الجمعية العلمية ان يقطعوا عليّ الدرس الثاني فولوا وهم يعتذرون ، فقالوا ان هؤلاء لا يملكون لنا نصرا ولا انفسهم ينصرون ، فما لهذا الامر الا رجل يشتري ما يراد منه بالمال ، وقد مرد على أمثال هذه الدسائس والاعمال ، وما ذاك الا داعية ابن صياد الدجال ، المعروف في جميع البلاد بأبي الضلال ، فذلك المغربي يطيعكم فيما يترفع عنه أهل الشام ، اذا وعدتموه بالتعويض عن مرتبه الذي قطع في هذه الايام ،

فلما لبى الشيخ صالح داعية أبي الهدى دعوتهم ، وقبل صلتهم ، أوعزوا الى بعض أفراد حزبهم بأن يحضروا الدرس مستعدين للكفاح والصيال ، اذا جر الى ذلك ما ينتظرون من القيل والقال ، وقد علم هذا كثير ممن كانوا معنا في مجلس الدرس من الاهالي الواقفين على حال البلد وكان هو السبب في رغبة عثمان بك في عدم إطالة المراجعة والمدافعة وان لم يصرح لي به وفي تحويم الفضلاء عليّ وتسليتهم اياي كما تقدم

لطف الله تعالى ولم يقع في المسجد ما كانوا يرومون من العدوان ، وعلم أسعد بك — وهو أخبر من هناك بكيدهم — أنهم لا يقفون عند ذلك الحد ، وان الخيبة في هذه تدفعهم الى ما هو شر منها وان الشيخ صالحا هو الذي رضي ان يكون مثيرا لفتنتهم ورأى أعوانهم قد أدلوا اليه يوسوسون له و يمدونه في الغي ثم لا يقصرون ، فظن ان

حبسه يسد باب الفتنة فحبسه فطاروا بذلك فرحا، وفتح لهم به باب جديد أقرب الى مقصدهم لانهم يصلون منه الى الإيقاع بعدوهم اسعد بك نفسه وجمعيته بلا وسيلة ولا واسطة ، فأنفذوا أناسا الى المساجد يستغيثون المسلمين و يستنفرونهم لاعانة الدين وحماية علمائه من ظلم جمعية الاتحاد والترقي والحكومة الجديدة! فصاح اولئك المنفذون صيحتهم بعد صلاة التراويح، فأقبل الناس يتساءلون : أي خطب دهى الاسلام وأي بلاء نزل بالعلماء؟ ويجيبهم خطباء الفتنة إن فلانا العالم الفاضل دافع عن الدين فقبض عليه أسعد بك وزجه في السجن فاذا لم نبادر الى انقاذه بقوة الشعب فان هذه الحكومة تقضي على جميع العلماء وتمحو دين الاسلام من الشام!!. ويقال انهم أنفذوا اناسا آخرين يقولون مثل ذلك في الاسواق وأعطوا كل واحد منهم «بشلكا» (١) فاجتمع الناس من كل فج حتى صاروا يعدون بالألوف وصاروا ينادون : ليسقط أسعد بك لتسقط جمعية الاتحاد والترقي . و بلغني انهم قالوا أيضا ليسقط القانون الاساسي وليعش الوالي! (ولكن الله أسقط الوالي ورفع الجمعية والقانون الاساسي فكان دعاؤهم في ضلال) ولولا ان توارى أسعد بك لقضوا عليه كما قيل

وقد ظهر من ضعف الوالي (شكري باشا) وأفن رأيه، مالا ينتظر اكثر منه من مدمني السكر وأسرى الشهوات مثله، فانه لما رأى الجموع قد حشرت، وزمرة الوجهاء قد حضرت، وعظمت عليه الامر وأرجفت، رجفت في قلبه الراجفة، وتلتها الرادفة، فخنع لمكرهم، وخضع لامرهم، وأمر بأن يؤتى بالشيخ صالح فجيء به، وطاف بالناس في مركبته (مركبة الوالي) من بعدما آذنه المشير بأن لديه من الجند مايكفي لقمع الفتنة الاهلية بل لاعلان الاحكام العرفية، ولو أخذ الوالي يومئذ بالحزم، لاستقرت هيبة الحكومة في النفوس مذ ذلك اليوم، لاأقول في دمشق وحدها، بل في الولايات السورية كلها،

فعلم من هذا الشرح الذي اخذته من مصادر كثيرة انني لم أكن مقصودا بالإيذاء الذاتي، ولا مؤاخذا على قول زل به في الدرس الثاني لساني، (لانني لم أذكر فيه نعمة الدستور ولانوهت بجمعية الاتحاد!) وإنما كثر في القيل والقال لكثرة من كان يسأل بماذا دافع فلان عن الدين حتى حبس ؟ فكان كل مسئول يجيب بجواب حتى كان مما سمعته في بعلبك وحمص انه نام رجل في الجامع الأموي فأنكر

(١) البشلك ضرب من نقود الدولة العثمانية يزيد عن نصف فرنك قليلا

القرآن وقال آخرون انه سب الانبياء! . ولكن الذي لقنه دعاة الفتنة للأكثرين هو انه دعا الناس الى مذهب الوهابية وأنكر زيارة القبور والتوسل بها . وهذا هو الذي كتبوا به الى جرائد بيروت وطرابلس ومصر والاستانة وقد علمت انه كذب وبهتان

نال محركو الفتنة من أسعد بك ما أرادوا واتهت هذه الحادثة بخروجه من الشام وضعف جمعية الاتحاد والترقي وعجزها عما كانت تحاول من أمر الانتخاب وذلك جل ما كانوا يبغون في نفس الشام فكان من المعقول مع هذا أن يسكتوا عني لاني لم أكن الغرض الذي يرمون سهامهم اليه ، وانما عرضت بينهم و بينه فرموني لا تنحي فتصل سهامهم اليه وحده ، فما هو السبب يا ترى في استمرار عداوتهم لي ومكاتبة الجرائد بسبي وثلبي ؟ يظهر لي ان لذلك أسبابا : منها أن الشر داعية الشر وان الرجل الخبيث اذا حاول شرا فتم له كما يحب تضرى نفسه بالشر فاذا ظلم انسانا بالاهانة والتسخير مثلا فذل له المظلوم ولم يجد له نصيرا فانه يستمر على إهانته وتسخيره له استلذاذا بذلك وتبجحا ، ومنها انه اغتنم هذه الفرصة رجل من أدعياء العلم حاقد علي فزج نفسه في حمأة هذه الفتنة وطفق يكتب و يستكتب غيره مقالات في الطعن علي ولكن الجرائد ترفعت عن نشر ما بعثوا به اليها من السخف فلم تقبله الا مثل جريدة بيروت التي هي جريدة المتقهقرين أعداء حكومة العدل والدستور وأعداء الاصلاح . ذلك الرجل الذي كان استأجر أحد أرباب العمائم فكتب له رسالة في الرد على المنار في مسألة طهارة الكحول زاد هو فيها ماازاد فرد عليه المنار يومئذ ردا صريحا صرح فيه باسمه ففضح جهله وجهل من كتب له (١) ولعل هذا الرجل هو الذي تصدى للكتابة بيده وماله ، واعانه عليها نفر من أتباعه ، ولي ههنا استدراك وهو ان أكثر الجرائد التي انتصرت للحق في هذه الحادثة قد اسندت البغي والعدوان فيها الى أهل دمشق الشام على الاطلاق لاستخفاء المعتدين منهم وذلك تساهل في التعبير أدى الى خلاف ما يريده الكاتبون فبني عليه حكم فاسد خفي عن الا كثرين فساده لخفاء المراد من العبارة التي اخذ منها . أعني انه صار يقال ان أهل الشام ناصبوا صاحب المنار العداء وآذوه بالكلام وإن أهل بيروت انتصروا له وأهانوا

(١) راجع مقالات طهارة الاعطار ذات الكحول (ص ٨٢١ و٨٦٦ م٤)

أهل الشام بما كتب في جرائدهم ودار في محافلهم ... والصواب ان صاحب المنار لم يسمع من أحد من اهل الشام كلمة شاذة عن النزاهة والادب بل سمع من كل من لقيه منهم أرق الكلام واعذبه، وألطف عبارات الترحيب والثناء، وإنما تصدى لقطع درسه ولإيهام العامة أنه اخطأ فيه رجل غريب عنهم لم يكن محبوبا عندهم لانهم يعدونه من جواسيس الشيخ أبي الهدى والدعاة له، وشاب آخر من طلاب العلم اراد أن يسأل عن شيء سوءال متبرم مستاء فكفاه ذلك الرجل الغريب ما كان يريده من ذلك . واما زعماء الحركة الذين اشرنا الي كيدهم آنفا فهم لايتجاوزون جمع القلة على انني لم اكن غرضهم وانما عرضت أمام غرضهم كما تقدم. على اني لو بقيت في دمشق لتصدوا لايذائي بتحريض العامة على ذلك ولكن لا يوءخذ من هذا ان اهل الشام فعلوا ذلك . وقد زارني في ليلة الحادثة بعض الوجهاء المحبين للمنار الذين كانوا يقروءنه في زمن الاستبداد ونصح لي بأن اسافر ثم كتب اليَّ بعد ان عدت الى طرابلس كتابا قال فيه « واني لخجول وايم الله من فضيلتكم ومقابلتي اياكم بدار عثمان بك تلك المقابلة لكن ربنا عليم بأني لم أحضر تلك الليلة لمقابلتكم وتكليفكم السفر الا خوفا عليكم وحفظاً لكرامتكم من سفهاء العمائم المتزيين بزين العلم والعلم بعيد عنهم بعد السماء عن الارض فترى ان الواحد منهم يظن أنه اذا كبر العمامة وطول الذقن ووسع أكمام الجبة وركب البغلة وغش البسطاء بهيكله — وان لم يكن تحت القبة ولاحبة — انه صار عالما » ومع هذا كله اقول اني لست على يقين من طعن رجل معين من أهل الشام فيَّ الا ذلك الحاقد الذي اشرت اليه آنفا، فاهل الشام ليسوا خصما لي ولا لاهل بيروت وليس أهل بيروت خصما لهم

وجملة القول ان الذين ابتغوا الفتنة من أهل الشام نفر لا يخرجون من مضيق جمع القلة ومن صدقهم من العامة يندر في الجملة وانه لم يتصد أحد من علمائهم للرد عليَّ في شيء سمعه مني أو قرأه من كلامي مظهرا نفسه مبينا اسمه وقد حضر كثير منهم درسي فان كانوا يعلمون اني أخطأت فلماذا سكتوا لي على الخطأ وقد سألت مفتيهم وكان من حاضري درسي ان يكتب اليَّ مبينا خطأي ان كنت أخطأت . سألته ذلك في مقالة نشرتها في جريدة الاتحاد العثماني واسأله هو وسائر علماء الشام ذلك

بلسان المنار وأنا أنشر لهم ما يكتبون في المنار واذعن له إن كان حقا وأبين ماعندي فيه ان كان خطأ · وهذه هي حجتي عليهم فاذا هم سكتوا عن هذا البيان فهم لا يخرجون عن أحد أمرين : إما انه لم يثبت عندهم أنني قلت شيئا مخالفا للشريعة وهذا كاف لتكذيب أولئك المذاعين الذين خاضوا في الاثم ، وإما انهم يكتمون الحق وهم يعلمون ولا يخفى عليهم ما ورد في القرآن والاحاديث من وعيد الكاتمين

(تنبيه) — سقط اسم السيد (حسين وصفي رضا) من ذيل مقالة التقاريظ سهوا إذ انه هو الكاتب لها

{ تصحيح } وقعت اغلاط في الجزئين ١١و١٢ وهذا بيانها فتصحح بالقلم :

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٨٠٢	١٩	لوصفهم	فوصفهم
٨٠٣	٢	المعتدلين	المعتدين
٨٠٥	١٧	نزدع	تزدع
٨٠٨	٢٤	في وعيد	من وعيد
٨١٠	٧	له	إلى
٨١٢	٢٢	يستوي	تستوي
٨١٥	٦	الذين	وهم الذين
٨٣٦	١١	كأن	لما
٨٣٧	١٢	حال	مال
٨٦٤	١٦	دونها	دونهما
٨٦٤	٢٤	الحرب	من الحرب
٨٦٥	١٩	عددقليل	عددغيرقليل
٨٦٧	٩	التي يفرضها	التي لايفرضها
٨٦٩	١٤	تقدم	تقوم
٨٧٠	١٢	أو انا	وانا
٨٧٠	١٤	من	في
٨٧١	١٤	منه	مناجي

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٨٧١	١٢	قال	قال له
٨٧٢	٦	ولا يراعي	.ولا يجوزان يراعي
٨٧٥	٢٥	وسبعون	وتسعون
٨٨٣	٥	هذا المتبادر	هذا هو المتبادر
٨٨٣	١٤	تتقوى	تتقوي
٨٨٤	١٠	دخلت	خلت
٨٨٥	٢٠	وقاتلوا	قاتلوا
٨٨٦	١٥	ظاهر	ظاهراً
٨٨٦	١٦	الواجب	لوجب
٨٨٧	٥	التنزيه	التنزيل
٨٨٧	١١	قالوا وفي	قالوا الواو في
٨٨٨	١٦	ويدل على	ويدل أيضا على
٨٩٢	٢٢	البشرى أو	البشرى
٨٩٦	١٥	فألحق	فالحق
٨٩٧	٢١	يكتب بعد كلمة : ويجمع هذه الفقرة (بينه وبين القول الاول)	
٩١٣	٢١	بها فكان	{ بها ثم جعلناها ذيلا لها ، فكان
٩١٥	٨	لحقيقة	لحقيقة
٩١٥	٩	العالية التي تتصل	العالية تتصل

خاتمة السنة الحادية عشرة

بحمد الله وشكره نختم السنة الحادية عشرة من سنيّ المنار ، فهي وله الشكر الاسنى ، والثناء الاوفى ، خيرسنة مرت بنا ، نعدها فاتحة حياة جديدة لنا ولأمتنا ، فكأن تلك السنين العشر ، غير معدودة من العمر ، وكأن هذه السنة الاولى من العقد الثاني للمجلة ، هي اللوءلوءة الاولى من العقد الاول لها وللملة ، كيف لاوهي سنة حكومة الشورى والدستور ، ومحو آية ليل الظلم بآية العـدل والنور ، فيرى القارىء هذا المجلد من المنار طافحا باخبار الدستور العثماني، ومجلس المبعوثان والقانون الاساسي ، وأسباب ماحدث في الدولة العثمانية من الانقلاب ، وما كان من ضروب الاحتفال، وذكر سياحة صاحب المنار في البلاد السورية ، و بعض ما ألقاه فيها من الدروس والخطب الدينية والسياسية ، بعد ان كان ذكر اسم المنار أو صاحب المنار ، يعد من اكبر الاخطار ، حتى كان بعض محبيه يشيرون اليه بلفظ النار · وسنلم في فاتحة السنة القابلة ، بتاريخ المنار في تلك السنين الخالية ، بما ينشر بعض الاشارات التي تقدمت في فواتح بعض السنوات ، ونشير فيها الى مستقبله في البلاد العثمانية ، ولا سيا في الولايات العربية ، حيث كان لا يقرأه الا بعض المستعذبين لمشربه ، اذ كانت الاخطار تواثب من يطلع عليه او يتصل بصاحبه ، فصار شرعا بين المصلحين والجامدين ، والمنصفين والحاسدين ،

ما انتقد على المنار في هذه السنة

لا اذكر وانا اكتب هذه الخاتمة في مدينة بيروت — انه انتقد على المنار شيء لم ينشر فيه الا ما كتبه الي بعض طلاب مدرسة الحقوق الخديوية ينكر فيه عليّ ما كتبته في الرد على من اقترحت بناء مدفن خاص بعظماء الرجال بمصر من انكار نصب التماثيل للموتى ، وما زعمته جريدة طرابلس الشام من أني طعنت في اهل طرابلس فيما كتبته عن سياحتي

نصب التماثيل للموتى

احتج علي طالب الحقوق بما كتبه الاستاذ الامام في رحلته الى صقلية من حكمة تحريم التصوير واتخاذ الصور والتماثيل، وانها قلع جذور الوثنية وسد الذريعة المفضية اليها · ويرى المنتقد ان هذا هو رأيي في المسألة وانني ما تشددت فيها أخيراً الا تثبيطاً للذين دعوا المصريين الى الاكتتاب لنصب تمثال لمصطفى كامل لما كان بيني وبينه من الخلاف السياسي · ويرى هو ان اقامة تمثال لمصطفى كامل ولغيره مما يبيحه الاسلام اذ ليس فيه شبهة دينية · هذا مجمل ما كتبه المنتقد كما أتذكر ·
فاما ما ذكر من حكمة تحريم الصور والتماثيل فقد صرحنا به في المنار قبل نشر رحلة الاستاذ الامام (بلرم صقلية) بسنين · ولو تأمل المنتقد ذلك الرد الذي بنى عليه انتقاده حق التأمل لما كتب الينا حرفا مما كتبه فان ما ذكر من حكمة التحريم اوعلته لا ينقض شيئاً مما كتبناه وكذلك ما كتبه الاستاذ الامام في رحلته لاينقض قولنا بل يؤيده ، فقد صرح بأن المفتي لايفتي بجواز التصوير ونصب التماثيل مطلقا

وههنا نبين للمتقد وامثاله مسألة مهمة يغفل عنها اكثر الناس وهي ان ما كان يقوله الاستاذ الامام من الآراء الاجتهادية وما ننشره من ذلك في المنار إنما نقصد به بيان حكم الاسلام وموافقته لمصالح الناس وافضاءه الى سعادتهم ما تمسكوا به ودفع الشبهات التي ترد على أحكامه دون جعله مذهبا يقلدنا الناس فيه، الا من ظهر له الدليل على شيء فأخذ به لاعتقاده أنه هو الحق، فأولئك لايكونون مقلدين لنا وإنما يكونون متبعين للدليل الذي قام عندهم لا يخرجهم عن ذلك كوننا سبقناهم الى ذلك الدليل وهديناهم اليه · فاذا فرضنا ان ما ذكرناه من حكمة تحريم التصوير ونصب التماثيل يقتضي إباحة نصب تمثال لمصطفى كامل — وهو لايقتضي ذلك — وكان المنتقد معتقداً ذلك فهل يقول ان مسلمي مصر الذين دُعوا الى هذه البدعة قد اعتقدوا مثله إباحتها شرعا ؟ كلا · إنه ليعلم انهم يعتقدون حرمة ذلك الانفراد بما كان اعتقادهم كاعتقاده ، ومن دونهم آخرون قد مرقوا من الدين كما يمرق السهم من الرمية فهم لا يبالون اكان ما وافق هواهم حلالا ام حراما !

المسلمون قسمان: الاول المقلدون للفقهاء وهم السواد الاعظم وفقهاء المذاهب الاربعة وهؤلاء يحرمون نصب التماثيل ، أفليس من امتهانهم ان يدعوا دعوة عامة لعمل محرم عندهم ؟ والثاني المتبعون للدليل وإنما يعمل الواحد منهم بما يقوم عنده من الدليل فيما يتعلق بخاصة نفسه ، وليس له ان يفتات على الجمهور بالعمل كأن يهدم المساجد التي على القبور لحظرها في الاحاديث الصحيحة، ولا ان ينصب لهم تماثيل فان ما يتعلق بالجمهور من شأن الحكام ، ولكن له أن يبين رأيه بالدليل وان يدعو اليه ويناظر المنكر عليه فان اقنعت دعوته الجمهور عمل بها وانا نحتج على المنتقد بنفس ما احتج علينا به وهو حكمة تحريم التصوير ونحت التماثيل فنقول :

ان نصب تمثال لمصطفى كامل لا يخلو من المعنى الوثني الذي يعترف المنتقد بأنه علة حظر نصب التماثيل فان أخاه و بعض محرري اللواء غلوا في تعظيمه بالوطنية كما كان (رحمه الله وعفا عنه) يطري نفسه بذلك، فلما لم يلق غلوهم نقدا ولا اعتراضا جعلوه بعد موته قطبا من أقطاب الدين وغلوا في وصف صلاحه ومزاياه وتبعهم على ذلك بعض الشعراء الذين لا يزنون الكلام بميزان عقل ولا شرع اكتفاء بموازين العروض، وتبع هؤلاء من يتبعهم عادة فلم يمض على موت الرجل أيام معدودات إلا وصار له مثال ديني خيالي غريب، وصار بعض المارقين والجاهلين يقرنونه بالانبياء أو يفضلونه عليهم، وذكر أخوه في ترجمته انه ولد على غير الصفة التي يولد عليها البشر عادة! وانه ظهر له في طفوليته شيء من خوارق العادات كما ذكرنا ذلك في الرد على « باحثة بالبادية » التي اقترحت بناء مدفن لعظماء الرجال بمصر . أفرأيت من غلا حزبه فيه هذا الغلو ، وجعلوه في هذا الأفق الخيالي من العلو ، أيستغرب افتتان العامة بتمثاله في بلاد تلتمس فيها البركات ، ودفع المضار وقضاء الحاجات ، من نعل الكلشني و باب المتولي وشجرة الحنفي وعمود الرخام الذي في المسجد الحسيني وغير ذلك من الجمادات وكذا المائعات كزيت مسجد السيدة نفيسة و بعض الآبار العتيقة!!؟

لا أرى وجهاً في ذلك التعليل لنصب تمثال لرجل خلق له أخوه صورة دينية كصور أصحاب الآيات والخوارق، وأنشأ بعض الشعراء يخلع على هذه الصورة من

حلل الخيالات الوهمية والخرافية ما تجود به أقلامهم وناهيك بجود الشعراء في الكلام!
ان كثيرا من الأصنام التي عبدت كانت تماثيل لأناس عظمهم قومهم تعظيما دنيويا ولما طال عليها العهد عبدت وصار يتوسل بها إلى الله أو تطلب منها الحاجات، فسدّ الدين هذا الباب سدّاً محكما فهو لا يأذن لأحد بأن يتخذ صورة ولا تمثالا لاجل تعظيم صاحبه ٠ ولا يقاس نصب مثل هذا التمثال على الصور والرسوم التي يستعان بها على العلوم كالطب والتشريح وعلم وظائف الاعضاء (Physiologie) أو على اللغة ليعرف الحيوانات التي وضعت لها الالفاظ من لم يكن رآها معرفة صحيحة لا شبهة فيها، فان احالة الكثير من كتب اللغة العربية في تفسيرها على المعرفة لا يفيد فاذا قيل: النسر طائر معروف والعقاب طائر معروف ولم يكونا معروفين عندك وان هذا هو النسر وهذا هو العقاب لا يفيدك قول اللغوي شيئا، ولا يقاس أيضا على الصور التي يستعين بها الحكام على حفظ الأمن وتربية المجرمين ٠ فأمثال هذه الأغراض الصحيحة من التصوير هي التي كان يقول الاستاذ الامام ان الاسلام يجل عن تحريمها وأذكر انني ناظرت بعض علماء طرابلس فيها قبل هجرتي الى مصر وذكرت له خمسة مقاصد صحيحة للتصوير فوافقني على ما ذكرت من كون علة تحريم التصوير دينية وكون هذه المقاصد صحيحة لا يحرمها الشرع

انتقاد جريدة طرابلس

قرأ كثير من المنصفين ما كتبناه عن طرابلس فقالوا انه بيان صحيح لحالها واعتذار عما رمي به أهلها من اللوم والذم لذنب اتاه شقي يوجد مثله في كل بلد٠ ولكن تلك الكتابة ساءت نفرا من الطرابلسية فهموا انهم هم المقصودون بمن أثروا من الرشوة وأكل أموال الناس بالباطل، فأرادوا ان ينتقموا من الكاتب بتهييج أهل طرابلس عليه وإيهامهم انه أهانهم أجمعين! وبلغني انهم كانوا يطوفون على الأدباء ويطلبون منهم ان يكتبوا في الرد على المنار ووعدت جريدة طرابلس بأن تنشر ما يرد عليها من الرد!

واتفق ان رأيت مدير جريدة طرابلس بالقرب من المحكمة الشرعية فأخبرني بما ينكره المنكرون من عبارة المنار عن طرابلس وبأنه رد عليهم واعتذر عن المنار بقدر استطاعته مع انه موافق لهم في بعض ما انتقدوه لعدم اعتياد أهل هذه البلاد أن يسمعوا في الجرائد نقداً الا بقصد الذم والإيقاع · وعلمت منه ان أنكر ما نكروه هو حكاية قول من كتب الينا « أترك فيحاء الاشقياء » الخ وقال ما كان يجوز أن يكتب مثل هذا وان كان حكاية · فقلت لكننا نقلناه لنرده ونقول انه في غير محله· قال انهم يقولون انه طعن على كل حال لا يصح ان يذكر · فقلت وماذا تقولون في حكاية القرآن الحكيم للطعن فيه وفي النبي صلى الله عليه وسلم بمثل قوله عزوجل « وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً » وقوله تعالى « وقالوا إن هذا الا إفك افتراه » الخ ؟ فسكت ·

قلت ثم ماذا ؟ فذكر ما كتبته عن الجمعية الخيرية العثمانية· قلت وهذا حكاية أيضا لم أقله من عند نفسي بل لم أكن حين كتبته أعرف من أعضاء هذه الجمعية غير من أشرت اليهم · وإن ما كتبته عنها هو أقل ماسمعته و بلغني ان جمعية الاتحاد والترقي ترى أن هذه الجمعية مقاومة لها وللحكومة الدستورية فكتابتي هذه وأنا من أنصار جمعية الاتحاد تصلح ان تكون دفاعا عن جمعيتكم أو تلطيفا لما يقال عنها عند اللجنة العليا لجمعية الاتحاد والترقي في الاستانة·

قلت ثم ماذا ؟فذكر ان ما كتبناه عن الذين أقاموا المباني الجديدة في جهة التل يشعر بأنهم ماقدروا على ذلك الا بما أكلوه من الرشوة · فقلت ان هذا غير مقصود فأنا أعلم ان ثروة اكثر اصحاب هذه المباني قديمة وليست من جهة الحكومة · فاذا كانت عبارة المنار تدل على ان الذين بنوا القصور في جهة التل هم الذين أثروا من الرشوة في الحكومة فأنا أعترف بأنها لم تؤد مرادي اذ لم أرد ربط مسألة عدم وجود موارد جديدة للثروة في طرابلس غير الرشوة لبعض رجال الحكومة بمسألة العمارات في جهة التل واقبة على هذا الوجه وانما ذكرت ذلك بالمناسبة وسأراجع المنار

ثم ذكر مسألة عدم تقدم طرابلس في العلوم والتجارة وانه كتب في المنار بأسلوب فيه مبالغة وشدة في النقد لم تتعوده سوريا كما تعودته مصر · قلت انه نقد صحيح

والغرض منه صحيح وهو ان يتنبه أهل بلدنا الى مايجب عليهم لتدارك ماأصابهم في في الايام الماضية · وان ما كتبته الآن غير كاف لأنه إشارة جاءت بطريق العرض ولا بد ان نعوّد قومنا على الانتقاد الشديد في المصالح العامة ولا خير في الجرائد التي لايكتب فيها الا المدح والاطراء ، لأجل الاستمالة والاسترضاء ، أو الذم والهجاء ، لأجل التشفي أو الايذاء ، واذا كان الناس هنا يشكون من مقال كتب لأجل الدفاع عنهم ، والرد على من أساء الظن فيهم ، فماذا يقولون اذا قرأوا مقالات طويلة في الانتقاد عليهم ، وبيان تقصيرهم في خدمة أمتهم وبلادهم ؟ ؟ وهل تكون الصحف مفيدة الا بمثل هذا الانتقاد ؟

هذا ماأتذكره مما دار بيننا وقال هو في خاتمة الكلام ماذا تأمر ان أكتب في العدد الآتي من طرابلس للتنصل من نشر مايريد نشره المنتقدون ؟ فاتفقنا على ان يكتب اني بينت له ان ما كتب في المنار لم يكن طعنا في أهل طرابلس بل دفاعا عنهم خلافا لما فهم بعض الناس واني سأبين هذا في بعض أجزاء المنار · وقد كتب هو ذلك ونحن بينا هنا المراد كما بيناه له وفاء بالوعد وجريا على سنتنا من نشر ماينتقد علينا

اختصار جملة الصلاة على النبي

وبلغني ان بعض الناس انتقد في المنار اختصار كلمة « صلى الله عليه وسلم » بحرف (ص) وزعم بعضهم عن غير بصيرة ولا استقراء ان هذا مطرد في المنار كلما ذكر النبي عليه الصلاة والسلام كما يطرد التصريح بكلمة «رضي الله عنه» كلما ذكر الاستاذ الامام ، والصواب الذي يراه القارئون للمنار اننا لا نذكر كلمة «رضي الله عنه» عند ذكر الاستاذ الامام مطلقا وانما تذكر في عنوان التفسير وهو سطر ثابت في المنار لا يتغير ، وأما جملة الصلاة فلا تكاد تذكر مختصرة بحرف (ص) إلا حيث تتكرر وكثيرا ماتذكر غير مختصرة · والاختصار يوفر شيئا من وقت الكاتب ومن الورق فيسع من الفوائد أكثر مما يسعه مع تكرار الجملة بنصها · وهي عادة طال عليها العهد فى كتب المسلمين ولا سيما المطبوعة فى الهند والاستانة ، وكانوا يختصرون الجملة هكذا « صلعم »

فصار بعض الناس ينطق بهذه اللفظة لا بالجملة المختصرة حروفها منها فاستحسنت ان استبدل بها حرف (ص)·ورأيت في كثير من الكتب بدل (صلعم) حرفي «ع م» بمعنى عليه السلام كما يختصرون جملة «رحمه الله» بحرفي (رح) وجملة «رضي الله عنه» بحرفي (رض) والمقصود من الكتابة فهم المراد فلو أمكن اختصار كل الجمل بحروف يفهم منها المراد لما اختلف العقلاء في العمل بهذ الاختصار ولكن هذا لا يتأتى الا في بعض الجمل التي يكثر استعمالها · وقد اخترع الناس طريقة لاختزال الخط لأجل نقل الخطب وما يدور في مجالس الحكم والعلم من الفوائد وهي خاصة بمن يتصدون لذلك كمحرري الجرائد

دعوة المنار الى الانتقاد عليه

اننا ندعو في هذه الخاتمة الى مثل مادعونا اليه في فاتحة هذا المجلد من الانتقاد على المنار ولكننا لا نقبل نقدا مبنيا على مايقوله بعض الناس على المنار، ولا نقداً يخرج فيه المنتقد عن موضوع ما ينتقده من فقره ، وإنما يقبل الانتقاد على فقرة تنقل بنصها من المنار مع بيان صفحة المجلد التي نقلت منها والاستدلال على خطإها

طلب الاشتراك وقيمته

لا تزال قيمة الاشتراك على اصلها فاننا لم نزدها وان كانت جميع الاشياء ازدادت غلاء في هذا القطر · ولكن أمرا طالما نبهنا اليه ولا يزال الناس يذهلون عنه ذلك اننا صرحنا مراراً بأن المنار لا يبعث به الآ لمن يبعث بالقيمة سلفا ، واننا لا ننقص من قيمة اشتراكه شيئا لأحد ما، ومع ذلك فان الناس لايزالون يسألوننا ذلك! فنحن نكرر القول هنا كما كررناه مرارا بأن الادارة لا تجيب من يسألها ذلك مطلقا

هذا واننا نختم هذا المجلد بمثل ماافتتحناه به من ذكر الله والثناء عليه عز وجل ونسأل الله ان يلهمنا الصواب ويديم علينا نعمة الاخلاص، وسلام على المرسلين ومن تبعهم بالهداية والاصلاح في الدنيا والدين ، والحمد لله رب العالمين ·

منشئ المنار ومحرره

محمد رشيد رضا الحسيني